

**صَحِيحُ الْمَعْقُولِ**  
**الْمُؤَافِقُ لَصَرِيحِ الْمُنْقُولِ**  
**فِي مُنَاقَشَةِ ثَلَاثَةِ تَفَاسِيرٍ**  
**رُتِّبَتْ عَلَى تَرْتِيبِ النُّزُولِ**  
(بِحسبِ مَحَاكِمِ)

كَتَبَهُ

الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ الْبَارِي

عَرَفْتَرِينُ صُنْطَاوِي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَعَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَائِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كَلِيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ الْعَالَمِيَّةِ

وَأَسَاتِذِ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا

بِالْجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالْمَعْهَدِ الْعَالِيِ لِلأُمَّةِ وَالْخُطْبَاءِ بِمِينِيْسُوتَا

وَالرَّئِيسُ الْعَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

الألوكة

f v t @

www.alukah.net

020115680204

# من إصدارات



مركز تأصيل علوم التنزيل  
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية



<https://taaselcenter.com>



[arafatantawy1440@gmail.com](mailto:arafatantawy1440@gmail.com)



+966503722153

موسوعة تأصيل علوم التنزيل  
(١٩)

**صَحِيحُ الْمَعْقُولِ**  
**الْمُوَافِقُ لِصَرِيحِ الْمُنْقُولِ**  
**فِي مَنَاقِشَةٍ ثَلَاثَةٍ تَفَاسِيرٍ**  
**رُتِبَتْ عَلَى تَرْتِيبِ النُّزُولِ**  
(بِحسبِ مَحَاكِمِ)

كَتَبَهُ

الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ الْبَارِي

**عَرَفْتُمِنْ صِنْفِ طَائِفَةِ**  
**عَفَا اللَّهُ عَنْهُ**

وَعَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَائِخِهِ وَلِنَزَرِيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كَلْبِيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ الْعَالَمِيَّةِ

وَأَسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا

بِالْجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالْمَعْهَدِ الْعَالِيِّ لِلأَنَمَةِ وَالْخُطْبَاءِ بِمِينِيَسُوتَا

وَالرَّئِيسُ الْعَامُّ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

١٤٤٣ هـ



## مجلة البحوث الإسلامية

Journal of Islamic Research

إصدار علمي متخصص جامعي محكم

Scholarly Academic Refereed Bulletin

Concerned With Scholarly Research

الرقم: ٨/٨٣٦٥

التاريخ: ١٢/٣/١٤٤٣هـ

المرفقات: --.

إلى من يهمله الأمر

يرجى التكرم بالعلم بأن البحث المقدم من:

الدكتور / عرفة بن طنطاوي.

عميد كلية أصول الدين والدراسات الإسلامية بجامعة خاتم المرسلين العالمية، وأستاذ التفسير وعلوم القرآن للدراسات العليا، بالجامعة الإسلامية والمعهد العالي للأئمة والخطباء - بمينيسوتا - والرئيس العام لمركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية.

وعنوانه: (صحيح المعقول الموافق لصريح المنقول في مناقشة ثلاثة تفاسير رتبت على ترتيب النزول).

قد ورد إلى هيئة الإصدار وخضع للتحكيم العلمي المتخصص، وأجيز للنشر بأحد أعداد المجلة، وتم نشره بالعدد الثالث والسبعين من مجلة البحوث الإسلامية، الذي صدر في شهر ربيع الآخر ١٤٤٣هـ، هذا وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مؤسس الإصدار ورئيس التحرير

أ. د. عبد الفتاح محمود إدريس



رقم إيداع المجلة بدار الكتب المصرية (٢٠١٥/٢٤٧٦٠) - الترقيم الدولي الموحد لها، (٩٣١٨ - ٢٥٣٦ - ISSN)

رابط موقع المجلة على الانترنت: <http://www.journalofislamicresearch.com>

رابط معامل التأثير العربي للمجلة: [journal impact factors\\_php.mht](http://journalimpactfactors_php.mht)

جمهورية مصر العربية، القاهرة، مساكن مدينة نصر، رمز بريدي: ١١٣٧١، ص. ب: ٨١٣١

Arab Republic of Egypt- Cairo, Housing of Nasr City, Post code: ١١٣٧١- P.O.Box, ٨١٣١

Tel: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠ - Mob: ٠٠٢ / ٠١٠٠٣٨٥٠٢٤٧ :Fax: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠

E-mail :dr.edris@hotmail.com

## دِيْمَا جَةُ الْبَحْثِ

الحمدُ لله الذي أنزلَ كتابه المجيدَ على أحسنِ أسلوب، وبهرَ بحسنِ أساليبه وبلاغةِ تركيبه القلوب، نزلَه آياتِ بَيِّنَاتٍ، وفَصَّلَه سورًا وآياتٍ، ورَتَّبَه بحكمتِه البالغةِ أحسنَ ترتيب، نظَّمَه أعظمَ نظامٍ بأفصحِ لفظٍ وأبلغِ تركيبٍ، وصَلَّى اللهُ على من أنزلَ إليه لينذرَ به وذكرى، ونزله على قلبه الشَّريفِ فنفى عنه الحرجَ وشرحَ له صدرًا، وعلى آله وصحبه مهاجرةً ونصرًا..(١).

أما بعد

## مُدْخَصُ الْبَحْثِ

فهذه بحث موسوم بـ "صَحِيحِ الْمُعْتَمَلِ الْمُوَافِقِ لِصَرِيحِ الْمُتَقَوْلِ فِي مُنَاقَشَةِ ثَلَاثَةِ تَفَاسِيرٍ رُتِبَتْ عَلَى تَرْتِيبِ النُّزُولِ".

تناوله الباحثُ في فصلين:

أما الفصل الأول: فقد تناول فيه الباحثُ مبحثَ ترتيبِ الآياتِ في السورِ ودلل على أنه ترتيب توقيفي، ثم تناول مبحثَ ترتيبِ السورِ ومذاهب العلماء فيه، ثم دلل على أنه ترتيب توقيفي، ثم ذكر بداية ومصدر مخالفة ومعارضة هذا الترتيب، ثم عرج على ذكر أبرز الداعين له من المستشرقين ومن تأثر بهم المعاصرين.

وأما الفصل الثاني: فقد قام الباحثُ بعرض التفاسير الثلاثة التي خالفت الترتيب المصحفي، ثم تناول التعريف بكل تفسير ومؤلفه ومنهجه وعقيدته ودوافعه لمخالفة هذا الترتيب وأسباب جنوحه للترتيب النزولي، ثم ناقش تلك الدوافع وفندها، ثم بيَّن أن مُقْتَبِحُو هذا الباب لم تتحقق لهم مآربهم، ثم ختم ببيان وجوب احترام الترتيب المصحفي الذي أجمعت عليه الأمة وتلقته بالقبول.

(١)- يُنظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: (ص: ٦٥). أسرار ترتيب القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع عدد الأجزاء: ١ .

## Research Summary

This research is tagged with

"The Sahih Maqul which corresponds to the Sahih Maqlub in the discussion of three interpretations arranged in a successive order".

The researcher dealt with it in two chapters:

As for the first chapter: the researcher dealt with the study of the arrangement of the verses in the surahs and indicated that it is a suspensive arrangement. He is one of the orientalist who were influenced by his contemporaries.

As for the second chapter: The researcher presented the three interpretations that violated the Qur'anic order, then dealt with the definition of each interpretation, its author, method, doctrine and motives for violating this arrangement and the reasons for its delinquency in the descending order, then discussed and refuted those motives, then indicated that the openers of this chapter did not achieve their goals, then He concluded by stating the necessity of respecting the Qur'anic order on which the Ummah agreed and accepted it.

## خطة البحث

وقد ضمّن الباحثُ بحثه خطة بحث مكونة من فصلين، وكل فصل يندرج تحته عدد من المباحث، وكل مبحث يندرج تحته عدد من المطالب، وقد بيّن فيه ما يلي:

أولاً: أهمية موضوع البحث

ثانياً: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

ثالثاً: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

رابعاً: مشكلة البحث وأهدافه

خامساً: منهج البحث

سادساً: خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة.

سابعاً: مجموع الفهارس

وخطة البحث تتكون من فصلين على النحو التالي:

### الفصل الأول

#### توقيف الترتيب المصحفي للآيات والسور

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن ترتيب الآيات في السور توقيفي

وفيه مطلبان:

والترتيب المصحفي يشتمل على أمرين:

المطلب الأول: الأمر الأول: ترتيب الآيات في السور

المطلب الثاني: وأما الأمر الثاني: فهو ترتيب السور وفق الترتيب المصحفي

المبحث الثاني: من أوضح الأدلة على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي، نزول بعض السور جملة

واحدة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذكر جملة من السور التي نزلت جملة واحدة

المطلب الثاني: الخلاصة في ذكر السور التي نزلت جملة واحدة

المبحث الثالث: مذاهب العلماء وخلافهم في ترتيب السور

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المذهب الأول: أن ترتيب السور أمر توقيفي من اجتهاد الصحابة

المطلب الثاني: المذهب الثاني: أن ترتيب السور أمر توقيفي من النبي - صلى الله عليه وسلم -

المطلب الثالث: المذهب الثالث: أن ترتيب أغلب السور أمر توقيفي من النبي - صلى الله عليه وسلم -  
وأن ترتيب بعض السور كان باجتهاد من الصحابة

**المبحث الرابع: أبرز أقوال العلماء القائلين بأن ترتيب سور القرآن الكريم كان ترتيباً توقيفياً  
وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: ذكر جملة من أقوال العلماء المتقدمين

المطلب الثاني: ذكر جملة من أقوال العلماء المعاصرين

**المبحث الخامس: أبرز الأدلة التي استدلت بها بعض العلماء على توقيف الترتيب المصحفي  
وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: الدليل الأول: إجماع الصحابة-رضي الله عنهم- على ترتيب السور في المصحف العثماني

المطلب الثاني: الدليل الثاني: تحزيب الصحابة-رضي الله عنهم- للقرآن

المطلب الثالث: الدليل الثالث: النظم الترتيبي لبعض السور المتشابهة في مفتحتها

المطلب الرابع: الخلاصة من أقوال وأدلة العلماء القائلين بأن ترتيب السور توقيفي

**المبحث السادس: بداية مخالفة ومعارضة الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي وبيان مصدره  
وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: أول من خالف وعارض الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي

المطلب الثاني: أبرز المستشرقين الداعين لإعادة ترتيب القرآن ترتيباً نزولياً

المطلب الثالث: أبرز من تأثر بالمستشرقين من المعاصرين

### الفصل الثاني

عرض ودراسة ومناقشة التفاسير الثلاثة التي رُتبت على ترتيب النزول

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: عرض ودراسة ومناقشة التفسير الأول "بيان المعاني لـ" عبد القادر ملا حُويّش" (ت: ١٣٩٨هـ)**

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بتفسير "بيان المعاني" ومؤلفه "ملا حُويّش"

المطلب الثاني: الكتب التي اعتمد عليها "حُويّش" في تفسيره

المطلب الثالث: طريقته في التفسير

المطلب الرابع: أول دراسة حول هذا التفسير

المطلب الخامس: دراسة نقدية لتفسير "حُويّش"

المطلب السادس: حصر دوافع إقدام "حُويّش" على تغيير الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي ومناقشتها



المبحث الثاني: عرض ودراسة ومناقشة التفسير الثاني " التفسير الحديث " لـ " محمد عزة دروزة " (ت):

(١٤٠٤هـ)

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: التعريف بتفسيره

المطلب الثاني: حجة " دروزة " في إقدامه على تغيير الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي

المطلب الثالث: بيان أهم وأبرز الدوافع التي ساقته " دروزة " لترتيب تفسيره ترتيبًا نزوليًا

المطلب الرابع: مناقشة دوافع " دروزة ":

المطلب الخامس: طريقة " دروزة " في تفسيره

المطلب السادس: تقييم تفسيره

المطلب السابع: عقيدة " دروزة " في صفات الرب - جل في علاه -

المطلب الثامن: أبرز الدراسات حول هذا التفسير

المبحث الثالث: عرض ودراسة ومناقشة التفسير الثالث كتاب " معارج التفكير ودقائق التدبر " لـ " حبنكة

الميداني " (١٤٢٥ ت: هـ)

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالكتاب ومؤلفه وبيان أهم دوافع وبواعث تأليفه

المطلب الثاني: أضواء جانبية على عقيدة الـ " حبنكة "

المطلب الثالث: منهج الـ " حبنكة " في كتابه، ورايه في ترتيب السور، وما كان لزامًا عليه اتباعه

المطلب الرابع: حصر دوافع الـ " حبنكة " في انتهاج هذه الطريقة

المطلب الخامس: مناقشة دوافع ومبررات الـ " حبنكة "

المطلب السادس: هل تحققت الأهداف التي رامها مُفْتَتِحُو تغيير الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي

المطلب السابع: بيان وجوب احترام الترتيب المصحفي وعدم التعرض له، والتصدي لمن تعرض له

## منهجية البحث

### أولاً: أهمية موضوع البحث

تتمحور وتتمركز أهمية هذا البحث حول تلك الجراءة التي أقدم عليها الثلاثة نفر الذين أحدثوا أمراً جليلاً فصنفوا ثلاثة تفاسير وكتبوها وفق الترتيب النزولي مخلفين وراء ظهورهم الترتيب المصحفي الذي استقرت عليه الصحف العثمانية وأجمع عليه الصحابة كلهم عن بكرة أبيهم - رضي الله عنهم أجمعين - وتلقته الأمة بالقبول وأجمع عليه السلف والخلف حتى زماننا الحاضر.

من هنا تأتي أهمية هذا البحث، فكان لابد ولزاماً من تقديم دراسة معالجة لهذا الخطر ومناقشته وتفنيده، ودفع تلك الفجيرة بأسلوب علمي تأصيلي مقرون بالحجج العقلية والعقلية، ولذا فقد سُمِّيَ البحث بـ "صَحِيحِ الْمُعْتَمَلِ الْمُوَافِقِ لِصَرِيحِ الْمُنْقُولِ فِي مُنَاقَشَةِ ثَلَاثَةِ تَفَاسِيرٍ رُيِّبَتْ عَلَى تَرْتِيبِ النُّزُولِ".

### ثانياً: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

الدراسة الوحيدة التي وقف عليها الباحث: "التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان"، تأليف: أ.د. مصطفى مسلم محمد - رحمه الله -، خبير بمركز تفسير للدراسات القرآنية، وأستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الشارقة سابقاً، بحث منشور في ملتقى أهل التفسير، بتاريخ: ١٥/١٢/١٤٣٢ هـ.

### عرض لتلك الدراسة:

ناقش الباحث في تلك الدراسة قضية ترتيب القرآن بين التوقيف والتوقيف، ثم تابعها بعرض دوافع أصحاب تلك التفاسير وناقشها وفندها بقلم يدل على الغيرة على كتاب الله ويدل على رسوخ صاحبه، وقد أفاد وأجاد فجزاه الله خيراً.

### أهم الملاحظات على تلك الدراسة:

أولاً: لقد عرض الباحث تلك الدوافع جملة ثم فندها جملة، وكان الأولى له عرض دوافع كل واحد من تلك التفاسير على حده، ثم يعقبها بالرد عليه مباشرة، ولكنها كما أسلفنا عرضها جميعاً ثم فندها جميعاً، وأعني بعرضها جميعاً جملة أنه عرضها الأول فالثاني ثم الثالث ثم جاء الرد عليها بعد ذلك على نفس طريقة العرض، وكان الأولى أن يعرض دوافع كل واحد ثم يرد عليها ويفندها مباشرة حتى لا يتشتت ذهن القارئ، وحتى لا تداخل عليها الملاحظات والمآخذ والرد عليها بين تفسير وآخر.

ثانياً: من أهم الملاحظات بل والمآخذ على هذا البحث افتقاره لبيان عقيدة أصحاب التفاسير الثلاثة الأشعرية بل إن الأول منهم - ملا حَوْيْش - متهم بالتصوف والانتماء للطريقة النقشبندية، مع رده للإجماع، وجهله بالسنة ورده لها، وتضعيفه للأحاديث الصحيحة الثابتة، واستشهاده بالموضوعات، وطعنه كذلك في الصحيحين، وغيرها من الطوام المذكورة بالتفصيل في ثنايا بحثنا، ومراجع "حَوْيْش" تدل على ذلك دلالة واضحة.

وإن معرفة الجانب العقدي وإبرازه للقارئ من الأهمية بمكان ليكون على حذر من المزالق العقدية والمخالفات التي خالف فيها المفسرُ معتقدَ أهل السنة ولا سيما في تأويل صفات الرب جل في علاه.

**ثالثاً:** من الملاحظات الهامة على هذا البحث - كذلك - افتقاره لتقديم تعريف بتلك التفاسير ولو تعريفاً موجزاً ليقف القارئ على مشهد عام على تلك التفاسير ويطالع طريقة تناول كل مفسر منهم لآيات الكتاب المجيد، والمآخذ التي أُخِذت على عمل كل مفسر في تفسيره.

**رابعاً:** ومن الملاحظات الجليّة على هذا البحث - كذلك - افتقاره لترجمة أصحاب تلك التفسير ليطالعها القارئ ويقف عليها.

فإن التعريف بالكتاب ومؤلفه ومعتقده وطريقة تناوله للتفسير يعطي تصوراً واضحاً جلياً عن الكتاب وكتابه من جوانب عدة تخدم القارئ وتسهل له الوقوف على كل ما ينبغي أن يعرفه عن الكتاب الذي يطالعه وعن مؤلفه ومنهجه ومعتقده.

وهذه الملاحظات وغيرها لا تقدر في جهد الباحث ولا في قيمة بحثه العلمية النقدية، ولا سيما وأنه أستاذ له قدره وله مكانته العلمية والتقدمية - رحمه الله تعالى -.

#### **ثالثاً: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث**

ومناقشة تلك التفاسير تأتي انتصاراً للقرآن ودفعاً لتلك الشبهة التي وقعوا فيها حتى لا يغتر بفعلهم أي غير كريم فيتابعهم ويوافقهم عليه، ولا سيما أن تلك التفاسير في متناول أيدي الناس.

وتأتي هذه الدراسة أيضاً مخاطبة للجهات العلمية المعنية في الأمة لاتخاذ التدابير اللازمة تجاه تلك التفاسير حتى لا تتكرر تلك الفجاعة مرة أخرى ولا سيما وأن مصنفوها قد قضاوا آجالهم وأفضوا إلى ما قدموا.

#### **رابعاً: مشكلة البحث وأهدافه**

تتمثل مشكلة هذا البحث فيما أقدم عليه هؤلاء الثلاثة نفر من إحداث في تغيير الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي

مدعين دعاوى ما أنزل الله به من سلطان، وتلك الادعاءات إن لم تفند بالحجة والبرهان وبوسائل الإقناع فقد تحدث نوعاً من القناعات عند من لم ليس له بصر ثاقب وعقل راجح، ولا سيما أن من أصحاب تلك التفاسير من اعتمد في عمله

- هذا - على فتاوى بعض علماء بلده لتبرأ ذمته وليجعلها حجة بينه وبين ربه، ومنهم من قدّم أسباباً واهية لا تقوم به حجة ولا تضح بها محجة، فيخشى إن لم تناقش وتفند تلك الحجج الواهية بأجوبة مقنعة مسكتة أن تنفذ تلك الفكرة وتنتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم.

فأتت تلك الدراسة لتناقش تلك التفاسير وتفند تلك الحجج الواهية التي قدموها والتي هي أوهن من بيت العنكبوت، وذلك بحجج واضحة وأدلة دامغات صيانة للترتيب المصحفي الذي عليه عمل الأوليين والآخرين من أهل الإسلام أجمعين.

## خامسًا: منهج البحث

لقد استخدم الباحث في بحثه عددًا من المناهج البحثية، والتي كان من أبرزها: المنهج

### الوصفي التحليلي

أما الفصل: فقد قام فيه الباحث بوصف ترتيب الآيات في السور بأنه "ترتيب توقيفي"، ثم قام بتحليل ذلك الترتيب مستدلًا على توقيفه بدلائل عدة، من أبرزها: نزول بعض السور جملة واحدة، ثم عرج على مذاهب العلماء وخلافهم في ترتيب السور وأنها ثلاثة مذاهب، ثم عرج على ذكر أبرز أقوال العلماء القائلين بأن ترتيب سور القرآن الكريم كان ترتيبًا توقيفيًا، ثم قام بوصف كل مذهب وصفًا تحليليًا مختصرًا مناسبًا لمقتضى الحال، ثم عرج على عرض الكلام على أبرز الأدلة التي استدلت بها بعض العلماء على توقيف الترتيب المصحفي واصفًا لها وصفًا تحليليًا، ثم ختم هذا الفصل بالكلام على بداية مخالفة ومعارضة الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي وبيان مصدره مبيّنًا وواصفًا له وصفًا تحليليًا دقيقًا مبيّنًا فيه أول من خالف وعارض الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي، ثم ثنى بذكر أبرز المستشرقين الداعين لإعادة ترتيب القرآن ترتيبًا نزوليًا، ثم ثلث وختم بذكر أبرز من تأثر بالمستشرقين من المعاصرين.

أما الفصل الثاني: فقد قام الباحث بعرض التفاسير الثلاثة، ثم تناول وصف كل تفسير منها وصفًا تحليليًا مناسبًا لمقتضى الحال مبيّنًا فيه التعريف بالتفسير ومؤلفه ومنهجه وعقيدته، ثم عرّج على دوافع مخالفته للترتيب المصحفي وجنوحه للترتيب النزولي، ثم بعد وصفه لتلك الدوافع قام بتحليلها تحليلًا وصفيًا مفندًا فيه تلك الدوافع بالوصف اللائق بكل دافع منها بما يقتضيه المقام، ثم بين الباحث أن الأهداف التي رامها مُفْتَتِحُو تغيير الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي لم تتحقق لهم، ثم ختم ببيان وجوب احترام الترتيب المصحفي وعدم التعرض له، والتصدي لمن تعرض له.

## الفصل الأول توقيف الترتيب المصحفي للآيات والسور

### المبحث الأول: بيان أن ترتيب الآيات في السور توقيفي

وفيه مطلبان:

إن الترتيب المصحفي هو الذي استقرت عليه العرصة الأخيرة الموافقة لما هو مثبت في اللوح المحفوظ، وهو الترتيب الذي استقر عليه الجمع البكري لأول جمع للقرآن بين لوحين، وهو الترتيب الذي استقر عليه المصحف الإمام في الجمع العثماني، وهو الترتيب الموافق للمصحف العثمانية التي بعث بها الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار.

والترتيب المصحفي يشتمل على أمرين:

#### المطلب الأول: الأمر الأول: ترتيب الآيات في السور

فلا شك في أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه البتة:

قال الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) - رحمه الله -:

فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة في أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكسها. (٢)

وقال السيوطي (ت: ٩١١هـ) - رحمه الله -:

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه. صلى الله عليه وسلم. وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين. (٣)

(٢) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص: ٢٥٦. - لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم - الطبعة الأولى - دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

(٣) - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (١ / ٢١١). الإتيان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم - دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. ويُنظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص ٦٠). إعجاز القرآن للباقلاني المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ١ . وأسرار ترتيب القرآن: (ص ٤١). ومناهل العرفان في علوم القرآن (١ / ٣٤٧). مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، عدد الأجزاء: ٢ . وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي عنابه القاضي وكفاية الرازي: (١ / ٢٥). وفتح البيان في مقاصد القرآن. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري الفُنُوجي (١٥ / ٣٠٧). فتح البيان في

ويقول السيوطي (ت: ٩١١هـ) - أيضًا - رحمه الله:-

"والذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيئًا، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه، ونظمه ثابت على ما نظمته الله تعالى، ورتبه عليه رسوله - صلى الله عليه وسلم - من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولم يؤخر مقدم" (٤)

وقال الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) - رحمه الله:-

ولقد انعقد إجماع العلماء على أن ترتيب الآيات في السورة كان بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الله عز وجل، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، ولم يُعلم في ذلك مُخالف" (٥)

ومن قال بالإجماع الذي حكاه السيوطي والزرقاني كذلك كل من:

١- ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) حيث يقول - رحمه الله:-

ترتيب الآيات واجب؛ لأن ترتيبها بالنص إجماعًا. (٦)

٢- وأبو جعفر الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) حيث يقول - رحمه الله:-

اعلم أولاً أن ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيفه وأمره - صلى الله عليه وسلم -، من غير خلاف في هذا بين المسلمين. (٧)

٣- والملا على القاري (ت ١٠١٤ هـ) حيث يقول - رحمه الله:-

ترتيب الآيات توقيفي، وعليه الإجماع. (٨)

مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعه وقدّم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م عدد الأجزاء: ١٥ (٤) - المرجع السابق: (ص: ١٦٣).

(٥) - مناهل العرفان للزرقاني: (١/٣٤٦).

(٦) - كشاف القناع عن متن الإقناع: (١/٣٤٤). ويُنظر: المبدع في شرح المقنع (١/٤٣٣). والإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل: (١/١١٩).

(٧) - البرهان في تناسب سور القرآن - حمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، أبو جعفر: (ص ١٨٢). البرهان في تناسب سور القرآن المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١ (٧) - أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٤٥٣٦).

(٨) - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - الملا علي بن سلطان محمد القاري: (٤/١٥٢٠). مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين

٤- وشهاب الدين النفاوي (ت: ١٢٧ هـ) حيث يقول- رحمه الله:-  
ترتيب الآيات توقيفي اتفاقاً. (٩)

وقد دل على ذلك أيضاً أدلة كثيرة من السنة الصحيحة الثابتة عن المعصوم - صلى الله عليه وسلم - وهي أكثر من أن تُحصى ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١- منها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال قال ابن الزبير قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) إِلَى قَوْلِهِ (غَيْرِ إِخْرَاجٍ) (البقرة من آية: ٢٤٠) قَدْ نَسَخْتَهَا الْأُخْرَى فَلِمَ تَكْتُبُهَا قَالَ تَدْعُهَا يَا ابْنَ أَخِي لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ. (١٠).

فرد عثمان بن عفان على ابن الزبير يفهم منه أنهم-رضي الله عنهم أجمعين- يعلمون أماكن ترتيب الآيات فتركها عثمان مكانها مثبتة لأن القرينة تدل عليها، ولأنه هو الذي تعلموه وهو المعمول به لديهم.

٢- ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر قال ما سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بإصبعه في صدري وقال ألا تكفيك آية الصييف التي في آخر سورة النساء. (١١)

فآية الكلاله مكانها في نهاية سورة النساء وخواتيمها، ولما سأل عمر رضي الله عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرشده إلى مكانها في آخر السورة.

ومن هنا يتبين لنا أمران:

**الأمر الأول:** أن آيات السورة مرتبة ومتتابعة من أولها وحتى آخرها.

**والأمر الثاني:** أن ترتيب الآيات كان مما يُعلمه النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه الكرام رضي الله عنهم.

---

الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤ هـ) الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند  
الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

(٩)- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني . أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم بن مهنا، شهاب الدين النفاوي الأزهري: ٥٦/١، ٦٦.

(١٠)- أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٤٥٣٦).

(١١)- رواه مسلم برقم (١٦١٧).

٣- ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء مرفوعًا من حفظ عشر آيات من أول الكهف عصم من الدجال وفي لفظ عنده من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف. (١٢)  
فقوله: (من أول الكهف) وقوله: (العشر الأواخر) واضح الدلالة على ترتيب آيات السورة كما هو شأن آيات القرآن قاطبة.

وكذلك "قراءته صلى الله عليه وسلم للسور المختلفة بمشهد من الصحابة يدل على أن ترتيب آياتها توقيفي وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبًا سمعوا النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ على خلافة فبلغ ذلك مبلغ التواتر". (١٣)

٤- ومنها ما ثبت عند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، (أنها) قالت: سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: "رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتُهنَّ من سورة كذا، وكذا" (١٤).

فهذا الحديث وأضرابه مما يُستدل به على تعليمه - صلى الله عليه وسلم - أصحابه - رضوان الله عليهم - أماكن الآيات وترتيبها في السور وأنه أمر توقيفي لا محيد عنه ولا محيص. وهناك أدلة كثيرة جدًا تقرر هذه المسألة، فسماع النبي - صلى الله عليه وسلم - للقرآن من أصحابه مرتب الآيات وإقراره - صلى الله عليه وسلم - لقراءتهم، وكذلك صلواته بهم على مدار مرحلة نزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة وقد تكرر ذلك تكرارًا ومرارًا وهو معلوم في دواوين السنة، ففي الإشارة إليه غنية وكفاية.

ومن أراد زيادة فائدة في هذا الباب فليراجع فضائل قراءة بعض آيات من القرآن بعينها في مظانها من كتب السنة كفضل فاتحة الكتاب وهي أكثر من أن تحصى، وكفضائل الآيتين الآخريتين من سورة البقرة (١٥)، وكفضل العشر آيات الأول من سورة الكهف (١٦) وكذلك ما

١٢- رواه مسلم برقم (٨٠٩).

١٣- يُنظر: الإتيان: (٦٥/١ - ٦٥).

١٤- أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب من لم ير بأسًا أن يقول: سورة البقرة، وسورة كذا وكذا ٦ / ١٩٤ ح رقم ٥٠٤٢ ومسلم ٣٣ كتاب صلاة المسافرين ٣٣- باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيب آية كذا، وجواز قول أنسيبها ١ / ٥٤٣ ح رقم ٧٨٨.

١٥- يُنظر: مسلم في صحيحه برقم: ٨٠٩، وغيرهم.

١٦- يُنظر: البخاري في صحيحه برقم: (٥٠٠٨-٥٠٠٩-٥٠٤٠)، ومسلم برقم: (٨٠٧).



واظب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قراءته لبعض سور القرآن ولم يغير في آياتها أي شيء، لا بتقديم ولا بتأخير، وذلك كقراءته لسور البقرة، والنساء، وآل عمران، وقراءته، لسورة "ق" في العيد. (١٧) وكذلك من فوق المنبر وفي الصلاة كذلك، كما كان يقرأ بـ"المنافقون" في الجمعة (١٨).

والنبي - صلى الله عليه وسلم - مع مواظبته على قراءة هذه السور والآيات فقد واظب - صلى الله عليه وسلم - كذلك على ترتيبها، فإنه لأ يعلم عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه غير شيئاً منها البتة.

ولا ريب أن فعله - صلى الله عليه وسلم - هذا من أوضح البراهين على أن هذا الترتيب هو ما وافق ترتيبه في اللوح المحفوظ والذي تلقاه عن جبريل - عليه السلام -.

أدلة أخرى تؤكد على أن ترتيب الآيات توقيفي:

ومما يؤكد على أن ترتيب الآيات ترتيب توقيفي كذلك ويبرهن عليه نزول عدد من سور القرآن جملة ودفعة واحدة.

١٧ - رواه مسلم برقم: (٨٩١)، وغيره.

١٨ - يُنظر: مسلم برقم: (٨٧٧)، وغيره من حديث أبي هريرة.

## المبحث الثاني: من أوضح الأدلة على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي نزول بعض السور جملة واحدة

وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: ذكر جملة من السور التي نزلت جملة واحدة

من الأدلة الواضحة الجلية على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي نزول بعض السورة جملة واحدة.

وفي تقسيم نزول سور القرآن يذكر السيوطي النوع الثاني، وهو النوع الذي نزل جملة واحدة فيقول - رحمه الله -:

"... وَمِنْ أَمْثَلِةِ الثَّانِي: سُورَةُ الْفَاتِحَةِ وَالْإِحْلَاصِ وَالْكَوْثَرِ وَتَبَّتْ وَلَمْ يَكُنْ وَالنَّصْرُ وَالْمُعَوِّذَاتَانِ نَزَلَتَا مَعًا. وَمِنْهُ سُورَةُ الصَّفِّ (١٩).

ونسوق بعض الأدلة الصحيحة الثابتة في نزول بعض السور جملة واحدة، فمن تلك السور التي نزلت جملة واحدة سورة براءة

فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: " آخِرُ سُورَةِ نَزَلَتْ كَامِلَةً بَرَاءَةٌ " (٢٠).

وقد رواه البخاري كذلك (٢١) بلفظ: " آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ ... " دون لفظة " كاملة. "

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن سورة براءة نزلت مفرقة ولم تنزل جملة واحدة مدعين عدم صحة لفظة " كاملة. "

قال بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ) - رحمه الله -:

"قَوْلُهُ: (كَامِلَةً) قَالَ الدَّوْدِيُّ: لَفْظٌ كَامِلَةٌ، لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ بَرَاءَةَ نَزَلَتْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، قُلْتُ: وَهَذَا لَمْ يَذْكَرْ لَفْظٌ كَامِلَةً، فِي هَذَا الْحَدِيثِ فِي التَّفْسِيرِ، وَلَفْظُهُ هُنَاكَ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ " (٢٢).

١٩ - الإِتْقَانُ: (١/ ١٣٦-١٣٧). بتصرف.

٢٠ - رواه البخاري: (٤٣٦٤).

٢١ - رواه البخاري: (٤٦٠٥).

٢٢ - عمدة القاري: (١٨/١٨).

ولكن الطاهر بن عاشور ذكر في "التحرير والتنوير" أنها نزلت دفعة واحدة وقد عزا هذا القول لجمهور العلماء. (٢٣)

ومن تلك السور التي نزلت جملة واحدة كذلك سورة الفتح:

فقد روى البخاري في صحيحه عن عمر - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةً، هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) ثُمَّ قَرَأَ: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) (الفتح: ١). (٢٤)

ومن تلك السور التي نزلت جملة واحدة كذلك سورة البينة:

فَعَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَبَّةَ الْبَدْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) [البينة: ١] إِلَى آخِرِهَا، قَالَ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُفَرِّقَهَا أَبْنِيًا، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَبِي: (إِنَّ جَبْرِيلَ أَمَرَنِي أَنْ أُفَرِّقَ هَذِهِ السُّورَةَ) قَالَ أَبِي: وَقَدْ ذُكِرَتْ ثُمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (نَعَمْ) قَالَ: فَبَكَى أَبِي. (٢٥)

وكذلك من السور التي نزلت جملة واحدة سورة الكوثر:

فعن أنس، قال: بينا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: "أنزلت علي أنفا سورة" فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر كاملة: ١ - ٣). (٢٦)

وكذلك من السور التي نزلت جملة واحدة سورة النصر:

فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: "نعم، إذا جاء نصر الله والفتح"، قال: صدقت. (٢٧)

٢٣ - التحرير والتنوير: (١٠ / ٩٧).

٢٤ - رواه البخاري: (٤١٧٧).

٢٥ - رواه أحمد في المسند: (١٦٠٠١)، وقال محققوه: (حديث صحيح لغيره). وأصله في البخاري: (٣٨٠٩)، ومسلم: (٧٩٩)، من حديث أنس.

٢٦ - أخرجه مسلم في ٤ - كتاب الصلاة ١٤ - باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة ١ / ٣٠٠ ح رقم ٤٠٠.

٢٧ - صحيح مسلم في صدر كتاب التفسير ٤ / ٢٣١٨ ح رقم ٣٠٢٤.

وكذلك من السور التي نزلت جملة واحدة سورة المسد:

ثبت في الصحيحين من حديث عن عَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: (يَا صَبَاحَاهُ)، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ الْعَدُوَّ يُصَبِّحَكُمْ أَوْ يُمَسِّبَكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟) قَالُوا: بَلَى، قَالَ: (فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبَّ لَكَ، أَهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ) (المسد: ١). (٢٨)

وكذلك من السور التي نزلت جملة واحدة سورتا المعوذتين:

فعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. (٢٩)

### المطلب الثاني: الخلاصة في ذكر السور التي نزلت جملة واحدة

أن نزول كثير من سور قصار المفصل نزلت جملة واحدة هو أمر ثابت بأدلة صحيحة صريحة، كالفاتحة والقدر والماعون والمسد والكوثر والفيل والنصر والكافرون والإخلاص والفلق والناس. وكذا الفتح.

وأما ما ذكره بعض أهل التفسير من أن سوراً عدة قد نزلت جملة واحدة كذلك ولا سيما من الطوال، فإن أغلب تلك الأقوال محل نظر واجتهاد والخلاف فيها معلوم لأنها أقوال اجتهادية لم تنهض بها حجة واضحة من دليل صحيح صريح ثابت، ولذا لم يذكر الباحث إلا ما ثبت لديه بالدليل الصحيح الثابت الصريح.

هذا: ولا بد أن يُعلم أن الأصل في القرآن الكريم أنه جُمع ورتب على أساس موافقته للعرضة الأخيرة، وقد استقرت العرضة الأخيرة لما هو مثبت وموافق لما في اللوح المحفوظ كذلك.

### المطلب الثاني: وأما الأمر الثاني: فهو ترتيب السور وفق الترتيب المصحفي

قد مر معنا آنفاً القطع بأن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه البتة، وأما ترتيب السور وفق الترتيب المصحفي فمسألة تنازع فيه العلماء، وهنا يعرض الباحث الأقوال الواردة في ترتيب السور مع الترجيح بينها.

٢٨ - رواه البخاري: (٤٨٠١)، ومسلم: (٢٠٨).

٢٩ - أخرجه مسلم ٦ - كتاب المسافرين وقصرها ٤٦ - باب فضل قراءة المعوذتين ١ / ٥٥٨ ح رقم ٨١٤.

## المبحث الثالث: مذاهب العلماء وخلافهم في ترتيب السور

وفيه ثلاثة مطالب:

يقول السيوطي - رحمه الله - في الإتقان عن الخلاف في ترتيب السور:  
وأما ترتيب السور على ما هي عليه الآن في المصحف، فقد اختلف فيه أهل هذا الشأن  
على ثلاثة مذاهب:

**المطلب الأول: المذهب الأول:** أن ترتيب السور أمر توفيقى من اجتهاد الصحابة  
وهو مذهب الجمهور الذي يرى أن ترتيب السور هو أمر توفيقى من اجتهاد الصحابة، حيث إن  
النبي . صلى الله عليه وسلم . فَوَضَّ ذلك إلى أمته من بعده. ومن أبرز من نحا إلى هذا الرأي الإمام  
مالك.

**المطلب الثاني: المذهب الثاني:** أن ترتيب السور أمر توقيفى من النبي . صلى الله عليه  
وسلم .

يرى أن هذا الترتيب توقيف من النبي . صلى الله عليه وسلم . ، وبه قالت طائفة من أهل العلم.

**المطلب الثالث: المذهب الثالث:** أن ترتيب أغلب السور أمر توفيقى من النبي . صلى

**الله عليه وسلم . وأن ترتيب بعض السور كان باجتهاد من الصحابة**

يُجْنَح إلى أن ترتيب أغلب السور كان بتوقيف من النبي . صلى الله عليه وسلم . وعلم ذلك في  
حياته، وأن ترتيب بعض السور كان باجتهاد من الصحابة . (٣٠)

قد مر بنا آنفًا ما ذكره السيوطي من أقوال العلماء في القول بترتيب السور إجمالاً، والخلاف في  
هذه المسألة واسع جدًا وله أهميته الكبرى لتعلقه بأمر عظيم يتعلق بكلام الله تعالى، وقد ساق  
أصحاب كل قول أدلة ما يترجح لديهم القول به، ومن تكلم في هذه المسألة أئمة كبار ممن يُعتد  
برأيهم، والباحث لم يسق أدلة كل فريق لمناقشتها مخافة الإطالة، وإن كان تناول هذا المبحث من  
الأهمية الكبرى بمكان، لمكانته وقدره وقدر متعلقه ألا وهو كتاب الله تعالى.

٣٠- البرهان (١/٢٥٨).

## المبحث الرابع: أبرز أقوال العلماء القائلين بأن ترتيب سور القرآن الكريم كان ترتيباً توقيفياً

والكثير من الأئمة يرى أن ترتيب سور القرآن الكريم كان ترتيباً توقيفياً كما كان ترتيب آياته كذلك، وقد ساقوا من الأدلة الواضحات والحجج الدامعات ما يجعل الباحث يقف عندها طويلاً ويعيد التأمل والبحث والنظر فيها كثيراً.

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: ذكر جملة من أقوال العلماء المتقدمين**

**ومن أبرز هذه الأقوال ما يلي:**

**القول الأول: قول الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) في البرهان - رحمه الله:-**

"قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالمصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سورة كلها وآياته بالتوقيف... قلت: وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي وهذا الراجح. (٣١)

ولاشك أن مثل قول الزركشي له قيمته العلمية وله مكانته وقدره كذلك، لكونه قد ناقش أدلة كل فريق من جهة، ولتمكنه من هذا العلم من جهة ثانية.

**القول الثاني: قول السيوطي (ت: ٩١١هـ) في الإتقان- رحمه الله:-**

"ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءً "يعني متوالية" وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاءً ، بل فصل بين سورها وفصل بين "طسم" الشعراء و"طسم" القصص بـ "طس" مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاداً لذكرت المسبحات ولاءً، وأخرت "طس" عن القصص". (٣٢)

٣١- البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧). وانظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: ٥٦/١. والكوكب

الوهاب شرح صحيح مسلم: ٧٦/١٠.

٣٢- الإتقان: السيوطي ج ١ ص ٦٣.

**القول الثالث: قول أبي بكر الأنباري(ت: ٣٢٨هـ) حيث يقول - رحمه الله:-**

"اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن". (٣٣)

**القول الرابع: قول الكرمانى:(ت: ٨٩٣هـ) - رحمه الله:-**

"ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب". (٣٤)

**القول الخامس: قول شرف الدين الطيبي(ت: ٧٤٣هـ) كذلك - رحمه الله:-**

"أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ". (٣٥)

**القول السادس: قول محب الدين التُّوَيَّرِي (ت: ٨٥٧هـ) حيث يقول - رحمه الله:-**

وإنما أمرهم-عثمان- بالنسخ من الصحف؛ ليستند مصحفه إلى أصل أبي بكر المستند إلى أصل النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وعين زيداً لاعتماد أبي بكر وعمر عليه، وضم إليه جماعة مساعدة له، ولينضم العدد إلى العدالة، وكانوا هؤلاء؛ لاشتهار ضبطهم ومعرفتهم. وكتبوه مائة وأربعة عشر سورة، أولها "الحمد" وآخرها "الناس" على هذا الترتيب. (٣٦)

يتضح من كلام النويري أنه يرى بأن نسخ أبي بكر كان كاملاً مرتب الآيات والسور أيضاً، وأنه استند إلى المكتوب، والمحفوظ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، لا فرق بين الآيات والسور في التوقيف، ولذا أمرهم-عثمان- بالنسخ منه.

**القول السابع: قول أبي جعفر النحاس(ت: ٣٣٨هـ) حيث يقول - رحمه الله:-**

" إن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٣٧).

**القول الثامن: قول أبي الحسن ابن الحصَّار(ت: ٦٢٠هـ) حيث يقول - رحمه الله:-**

"ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي". (٣٨)

٣٣- الإيتقان: السيوطي ج ١ ص ٦٢.

٣٤- البرهان: الزركشي ج ١ ص ٢٥٩، والإيتقان للسيوطي ط ١ ص ٦٢.

٣٥- الإيتقان: السيوطي ج ١ ص ٦٢.

٣٦- شرح طيبة النشر (١/ ١٠٩).

٣٧- البرهان: الزركشي ج ١ ص ٢٥٩، والإيتقان للسيوطي ط ١ ص ٦٢.

٣٨- الإيتقان: السيوطي ج ١ ص ٦٢.

### القول التاسع: قول البغوي(ت: ٥١٦هـ) حيث يقول- رحمه الله:-

إن الصحابة- رضي الله عنهم-، جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله . صلى الله عليه وسلم . ، من غير أن زادوا فيه، أو نقصوا منه شيئاً...فكتبوه كما سمعوا من رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، من غير أن قدموا شيئاً أو أخوا...فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا، أنزله الله تعالى جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة : ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١) (٣٩).

إن كلام البغوي في غاية الدقة، فهو يرى أن القرآن الذي في أيدينا ما زال كما كان في اللوح المحفوظ، فكان مرتباً، ونزل مرتباً إلى السماء الدنيا بكامل آياته وسوره، وأنه وإن نزل منجماً بعد ذلك على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، فقد جُمع بالوحي كما كان في اللوح المحفوظ، وكتبه الصحابة- رضي الله عنهم- على هذا الجمع الذي تعلموه من رسول الله . صلى الله عليه وسلم . .

٣٩- شرح السنة للبغوي: (٤ / ٥٢١). شرح السنة، الإمام البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، ط ثانية، ١٩٨٣م، المكتب الإسلامي، ويُنظر: المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود: ٢٠٦/٥.



## القول العاشر: قول الملا علي القاري<sup>(٤٠)</sup> حيث يقول - رحمه الله -:

مع أن الأصح أن ترتيب السور توقيفي أيضاً، وإن كانت مصاحفهم مختلفة في ذلك قبل العرضة الأخيرة...ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءً، وكذلك الطواسين، ولم يرتب المسبحات ولاءً، بل فصل بين سورها، وكذا اختلاط المكيات بالمدينيات<sup>(٤١)</sup>.

وفي قول ودليل علي القاري، يتضح أن الترتيب وإن لم يرد فيه نص نظري لكنه كان أوكد من خلال التأمل في التطبيق العملي، الذي يوحي بما لا يدع مجالاً للشك بأن الترتيب كان توقيفياً. وكلامه فحواه مقتبس من قول السيوطي. ولما سبق لم يتردد العلماء في ترجيح هذا الرأي

<sup>٤٠</sup> - الملا علي القارئ: (ت. ١٠١٤ هـ - ١٦٠٦ م)، هو الشيخ الفقيه المحدث المقرئ نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد، القارئ الهروي المكي المعروف بـ "الملا علي القاري". لقب بالقاري؛ لكونه عالماً بالقراءات، والهروي: نسبة إلى مدينة هراة، من أمهات مدن خراسان، وهي ضمن جمهورية أفغانستان الحالية. والمكي: نسبة إلى مكة أم القرى؛ لأنه رحل إليها وأخذ عن مشايخها واستوطنها حتى توفي بها. ولد في مدينة هراة في حدود سنة ٩٣٠ هجرية، وبها نشأ، وطلب العلم، وحفظ القرآن الكريم، وجوده على شيخه المقرئ معين الدين بن الحافظ زين الدين الهروي، وتلقى مبادئ العلوم الشرعية عن شيوخ عصره. ثم رحل إلى مكة، حيث استقر بها، ولازم بها العلماء سنوات طويلة، واستمر في التحصيل، حتى صار من العلماء المشهورين.

وكان رحمه الله حنفي المذهب، كما هو معروف من مصنفاته، وسيرة حياته، وأسهم في تحرير كثير من مسائل المذهب الحنفي، وتأيدها بالأدلة الشرعية.

وكان رحمه الله معروفاً بالتورع والتعفف، وكان يأكل من عمل يده، متقللاً من الدنيا، غلب عليه الزهد والعفاف والرضا بالكفاف.

وكان قليل الاختلاط بالناس، كثير العبادة والتقوى، وكان يكتب كل عام مصحفاً بخطه الجميل، ويهمشه بالقراءات والتفسير، فيبيعه ويكفيه قوتاً عامه كله.

وكان يرى أن التقرب إلى الحكام وقبول منحهم يضر بالإخلاص والورع. وكان يقول: "رَجَمَ اللَّهُ وَالِدِي، كَانَ يَقُولُ لِي: مَا أُرِيدُ أَنْ تَصِيرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، حَسْبِيَةَ أَنْ تَقِفَ عَلَى بَابِ الْأُمَرَاءِ". انتهى من "مرقاة المفاتيح" (١/ ٣١١).

وللاستزادة من سيرته وأخباره يُنظر:

-الأعلام" للزركلي (١٢/٥-١٣).

-التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح" للكاندهلوي (ص٦).

-التعليقات السنية" للكنوي (ص٨-٩).

-الملا علي القاري فهرس مؤلفاته وما كتب عنه" لمحمد عبد الرحمن الشماع .

<sup>٤١</sup> - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري: (٤/ ١٥٢٢).

القائل بالتوقيف، فقد قال أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي: والصحيح أن ترتيب  
السور والآيات أمر توقيفي لا مجال للرأي فيه. (٤٢)

ومما نُظِمَ وقيل في ذلك قولُ أبي الحسن بن الحصار(ت: ٦٢٠هـ) - رحمه الله- في كتابه "الناسخ  
والمنسوخ":

يا سائلي عن كتاب الله مجتهداً.....وعن ترتيب ما يتلى من السور  
وكيف جاء بها المختار من مضر.....صلى الإله على المختار من مضر (٤٣)  
فابن الحصار يشير إلى أن ترتيب السور جاء بها النبي-صلى الله عليه وسلم- وهي إشارة واضحة  
الدلالة من كلامه بأن ترتيب السور توقيفي منه-صلى الله عليه وسلم-

### المطلب الثاني: ذكر جملة من أقوال العلماء المعاصرين

وقد رجع جمع من المعاصرين القول بالتوقيف كذلك، وهم على سبيل المثال لا الحصر على  
نحو التالي:

"جاء في التفسير الوسيط: ترتيب السور على ما جاء في المصحف الشريف بأمر الله عز  
وجل (٤٤).

### ١- قال صاحب التفسير الوسيط:

والذي تميل إليه النفس أن ترتيب السور توقيفي، وأن كل سورة لها موضوعاتها التي نراها بارزة  
بصورة تميزها عن غيرها (٤٥).

٤٢- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي: ١٧٤/١٨. ويُنظر: فتح  
البيان في مقاصد القرآن. محمد صديق خان: ٣١/١ و ١٥، ٣٠٧. وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٥/١.  
وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: المقدمة: ٩٦. والتفسير من سنن سعيد بن منصور: ٢٣٩/١.  
ومرعاة المصاييح شرح مشكاة المصابيح: ٣٣٤/٧.  
(٤٣) وللإستزادة ينظر: الإتقان للسيوطي (٤٤/١).

(٤٤)- التفسير الوسيط، مجمع البحوث (١٠ / ٢٠٤٣). التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث  
الإسلامية بالأزهر، طبعة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ  
= ١٩٩٣ م) عدد المجلدات: ١٠

٤٥- التفسير الوسيط ل محمد سيد طنطاوي(ت: ١٤٣١هـ): (٦ / ٩)، وهذا التفسير تارة ينسب ل"طنطاوي"، وتارة  
أخرى ينسب لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، كما هو الحال في الطبعة الأميرية المذكورة  
آنفاً.

٢- وقال وَهَبَةُ بن مصطفى الرَّحِيلِيّ (ت: ٤٣٦ هـ) - رحمه الله-:

ولا خلاف بين العلماء في أن ترتيب آيات السور توقيفي منقول ثابت عن النبي . صلى الله عليه وسلم . ، كما أن ترتيب السور أيضًا توقيفي على الراجح<sup>(٤٦)</sup>.  
ومن قال به كذلك من المعاصرين محمد عبد الله دراز، أحمد شاکر.

## المبحث الخامس: أبرز الأدلة التي استدلت بها بعض العلماء على توقيف الترتيب المصحفي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الدليل الأول: إجماع الصحابة-رضي الله عنهم- على ترتيب  
السور في المصحف العثماني

ومن أبرز ما استدلت به بعض هؤلاء على توقيف الترتيب المصحفي ما يلي:  
إذ لو كان هذا الترتيب ترتيبًا اجتهاديًا لما أجمعوا عليه ولتمسكوا بمصاحفهم ولما قدموها للحرق،  
ولما اجتمعوا على المصحف الإمام.

ولقد" قام عثمان بن عفان- رضي الله عنه- بإحراق المصاحف التي وقع فيها الاختلاف، وأبقى  
لهم المتفق عليه، كما ثبت في العرْضة الأخيرة".<sup>(٤٧)</sup>

وقد ثبت عند البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه-، أن حذيفة بن اليمان - رضي الله  
عنه- قدم على عثمان - رضي الله عنه-، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع  
أهل العراق، فأفزع حذيفةً اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه  
الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني  
إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد  
بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في  
المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من

<sup>٤٦</sup> - التفسير المنير للرحيلبي (١/ ٢٣). ويُنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٤/١٨١. الموسوعة الفقهية الكويتية صادر  
عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت عدد الأجزاء: ٤٥ جزءًا، طبع الوزارة.

<sup>٤٧</sup> - البداية والنهاية: لابن كثير: (٧/ ١٧٨). البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي  
البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م عدد الأجزاء: ١٥.

القرآن، فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. (٤٨) (٤٩)

**قال علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) - رضي الله عنه - :**

" يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا في المصاحف وإحراق المصاحف، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعًا ". (٥٠)

وقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يدل على أنهم قد أجمعوا عليه إجماعًا سكوتيًا - رضي الله عنهم أجمعين -.

**موقف ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) - رضي الله عنه - :**

**قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) - رحمه الله - :**

" روي عن عبد الله بن مسعود أنه غضب لما أخذ منه مصحفه فحرق، وتكلم في تقدّم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف، فكتب إليه عثمان بن عفان - رضي الله عنه يدعو إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأناب عبد الله بن مسعود، وأجاب إلى المتابعة، وترك المخالفة - رضي الله عنهم أجمعين - ". (٥١)

٤٨ - رواه البخاري، حديث: (٤٩٨٧).

٤٩ - قال عمر بن علي بن أحمد الشافعي، المعروف بابن الملقن: (ت: ٨٠٤هـ)

معنى (يغازي) يغزو، وإرمينية: بكسر أوله، وفتح ابن السمعاني، وتخفف ياؤها وتشدد كما قاله ياقوت، وقال صاحبها "المطالع": بالتخفيف لا غير. وقال أبو عبيد: بلد معروف سميت بكون الأرمن فيها، وهي أمة كالروم، وقيل: سميت بأرمون بن لمطي بن يومن بن يافث بن نوح. قال أبو الفرج: ومن ضم الهمزة غلط، قال: وبكسرهما قرأته على أبي منصور اللغوي؛ وقال: هو اسم أعجمي، وأقيمت - كما قال الرشاطي - سنة أربع وعشرين في خلافة عثمان على يد سليمان بن ربيعة الباهلي. قال: وأهلها بنو الرومي بن إرم بن سام بن نوح.

وأذربيجان - بفتح أوله بالقصر والمد، ويفتح الباء وكسرهما، وكسر الهمزة أيضًا، حكاه ابن مكّي في "تنقيبه" - بلد بالجبال من بلاد العراق يلي كور إرمينية من جهة المغرب. وقال أبو إسحاق البحيري: الفصيح ذريجان. وقال الجواليقي: الهمزة في أولها أصلية، لأن أذر مضموم إليه الآخر. يُنظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح: (٢٤/٢٠ - ٢٥).

٥٠ - المصاحف؛ لابن أبي داود ص ٩٦. كتاب المصاحف المؤلف: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ) المحقق: محمد بن عبده الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م عدد الأجزاء: ١ .

٥١ - البداية والنهاية؛ لابن كثير: (٧ / ٢٢٨). بتصرف يسير.

وكذلك إجاب ابن مسعود- رضي الله عنه- إلى المتابعة في تقديم مصحفه للحرق تعزز ما ذكرناه  
آنفاً من قول علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- تقوى وتؤكد وتعزز القول بالإجماع السكوتي من  
جهة، وتقرر الإجماع الفعلي من جهة أخرى كذلك، فرضي الله عنهم أجمعين.  
وفي ذلك يقول الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)- رحمه الله- في مناهله-وهو يستعرض أدلة القائلين  
بالتوقيف:

"إن ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول- صلى الله عليه وسلم - كترتيب الآيات وأنه لم  
توضع سورة في مكانها إلا بأمر منه - صلى الله عليه وسلم - .واستدل أصحاب هذا الرأي بأن  
الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد. وإجماعهم لا يتم  
إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب  
المصاحف المخالفة بمخالفتهم. لكنهم لم يتمسكوا بها بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم وعدلوا عن  
مصاحفهم وأحرقوها ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعاً. ثم ساقوا روايات لمذهبهم كأدلة  
يستند إليها الإجماع". (٥٢)

فلو سلمنا جدلاً أن ترتيب المصحف كان في أول أمره ترتيباً اجتهادياً لا توقيفياً، لقلنا إن إجماع  
الأمّة قد استقر على الترتيب المصحفي، حتى إن كُتب التفسير كلها على هذا الأمر لا نعلم منها  
أي مخالف عند السلف والخلف، لكن شذ عن ذلك ثلاثة نفر من المعاصرين<sup>(٥٣)</sup>، فلا يجوز والحال  
كذلك خرق هذا العمل الذي أجمعت الأمّة عليه، وإنما المعنى بذلك هو كتب التفسير، لأن أمر  
المصاحف لا يتجرأ أحد على مخالفته البتة إلا مما نادى بعض المستشرقين كما سيأتي بيانه.

٥٢- يُنظر: مناهل العرفان: (١/٣٥٤)

٥٣- أما الخلف: فقد أحدث ثلاثة نفر منهم خرقاً لهذا الإجماع، فكتبوا تفاسيرهم على الترتيب النزولي، تاركين الترتيب  
المصحفي الذي عليه عمل السلف واستقر عليه إجماع الأمّة.

أما التفاسير الثلاثة فهي:

١- تفسير بيان المعاني: وهو "تفسير كتاب الله الحكيم حسب النزول ل" عبد القادر ملا حويش".

٢- التفسير الحديث: ل" محمد عزة دروزة "

٣- كتاب "معارج التفكير ودقائق التدبر" ل" عبد الرحمن حبنكة الميداني"

وسياقي الكلام عنها بالفصيل في الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

**المطلب الثاني: الدليل الثاني: تحزيب الصحابة-رضي الله عنهم- للقرآن**

ومما استدلووا به كذلك على أن ترتيب السور توقيفي تحزيب القرآن وفي ذلك

**يقول الحافظ ابن حجر(ت: ٨٥٢هـ) -رحمه الله تعالى:**

" ومما يدل على أن ترتيب المصحف كان توقيفياً ما أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما عن أُوسِ بْنِ أَبِي أُوسٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف....وفيه....فسألنا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من "ق" حتى نختتم". ثم قال ابن حجر: " فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ". (٥٤)

وهذا أيضاً دليل واضح جلي ذكره الحافظ في الفتح واستدل به على أن ترتيب السور على ما هو عليه في المصحف الآن كان كذلك في عهد تنزله الأول على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-.

**المطلب الثالث: الدليل الثالث: النظم الترتيبي لبعض السور المتشابهة في مفتحتها**

**وفي ذلك يقول السيوطي -رحمه الله تعالى:-**

"ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءً "يعني متوالية" وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاءً، بل فصل بين سورها وفصل بين "طسم" الشعراء و"طسم" القصص بـ "طس" مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاداً لذكرت المسبحات ولاءً، وأخرت "طس" عن القصص". (٥٥) وقد مر ذكره عند عرض أقوال القائلين بتوقيف ترتيب السور.

وهذا الترتيب الدقيق الذي ذكره السيوطي للسور المتشابهات في مفتحتها ومطلعها وصفة ترتيبها وتتابعها بتلك الدقة المتناهية من سور "آل حميم" وسور "آل طسم"، إذ إن سور "آل حم" السبع رتبت ترتيباً متوالياً وكذلك سور "آل طسم" الثلاث، وأما سور المسبحات السبع فرغم تشابه مفتحتها فإنها لم تأت متوالية. وقوله: (وأخرت طس) يعني النمل المفتحة بـ(طس) فقد أخرت عن

<sup>٥٤</sup> - فتح الباري: ابن حجر العسقلاني ج ٩ ص ٤٢، ٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

<sup>٥٥</sup> - الإتقان: السيوطي ج ١ ص ٦٣.

القصص فجاءت بعدها، وقد وقعت بين سورتي الشعراء والقصص المتشابهتين في الافتتاح بـ (طسم)، فدلّل بذلك على أن ترتيب السور توقيفي بلا شك، وهذا استدلال من السيوطي له قوته ووجهته وحجيته.

وسور الحواميم هي: سور ذوات "آل حم".

وسور الطواسين أو الطواسيم هي: السور ذوات "آل طسم". وقد جُمعت على غير قياس.

أما سور "آل حم": فهي سور "آل حم" السبع التي افتتحت بـ "حم" وهي سور:

١ - غافر

٢ - فصلت

٣ - الشورى

٤ - الزخرف

٥ - الدخان

٦ - الجاثية

٧ - الأحقاف.

قال الكميّ بن يزيد<sup>(٥٦)</sup>:

وجدنا لكم في آل حاميم آية... تأولها منا تقيّ ومعرب<sup>(٥٧)</sup>

وهي على الترتيب المصحفي على النحو التالي:

الأولى: (حم) (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ((٢)) [غافر].

الثانية: (حم) (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ((٢)) [فصلت].

الثالثة: (حم) (١) عَسَق ((٢)) [الشورى].

الرابعة: (حم) (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ((٢)) [الزخرف].

الخامسة: (حم) (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ((٢)) [الدخان].

السادسة: (حم) (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ((٢)) [الجاثية].

<sup>٥٦</sup> - الكميّ بن زيد الأسدي وكنيته أبو المستهل، (٦٠هـ - ١٢٦هـ) شاعر عرب من قبيلة بني أسد ومن أشهر شعراء العصر الأموي، سكن الكوفة واشتهر بالتشيع وقصائده في ذلك المسماة بالهاشميات. يُنظر الموسوعة الحرة-ويكيبيديا.

<sup>٥٧</sup> - البيت للكميّ بن زيد الأسدي، مجاز القرآن لأبي عبيدة: (٢١٨ - ١) وديوانه طبعة الموسوعات بالقاهرة ١٨. وآل حاميم وذوات حاميم: السور التي أولها "حم" نص الحريري في درة الغواص، على أنه يقال: آل حاميم، وذوات حاميم، وآل طسم، ولا يقال: حواميم ولا طواسيم.

السابعة: (حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢)) [الأحقاف]

"وقد تجعل "حم" اسماً للسورة ويدخل الإعراب ولا يصرف". (٥٨)

وأما سور "آل طسم": فهي السور المفتوحة بـ (طسم) أو (طس)، وهي ثلاث سور:

١ - الشعراء

٢ - والنمل

٣ - والقصص.

وهي على الترتيب المصحفي على النحو التالي:

الأولى: (طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) [الشعراء].

الثانية: (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ) (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)) [النمل].

الثالثة: (طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)) [القصص].

أنشد أبو عبيدة:

وبالطَّوَّاسِيمِ الَّتِي قَدْ ثَلَّثَتْ... وبالحواميم الَّتِي قَدْ سَبَّعَتْ (٥٩)

وهو يعني بقوله: " قد ثلثت" أنها ثلاث سور، وبقوله: " قد سبعت" أنها سبع سور.

وأما المسبحات فهي السور المفتوحة بالتسبيح، وهي سبع سور:

١ - الإسراء.

٢ - الحديد.

٣ - الحشر.

٤ - الصف.

٥ - الجمعة.

٦ - التغابن.

٥٨- يُنظر: زاد المسير: ٢٠٤/٧-٢٠٥.

٥٩- يُنظر: زاد المسير: ٢٠٤/٧-٢٠٥، تفسير ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى- هـ،، جمال القراء: ٣٤/١-٣٦. جمال القراء وكمال الإقراء المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ) دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدائم سيف القاضي (أصل الكتاب رسالة دكتوراه بإشراف د محمد سالم المحيسن) الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد) الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.



٧ - الأعلى.

وهي على الترتيب المصحفي على النحو التالي:

الأولى: ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ) (١) [الإسراء].

الثانية: ( سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) (١) [الحديد].

الثالثة: ( سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) (١) [الحشر].

الرابعة: ( سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) (١) [الصف].

الخامسة: ( يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ) (١) [الجمعة].

السادسة: ( يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (١) [التغابن].

السابعة: ( سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ) (١) [الأعلى].

**المطلب الرابع: الخلاصة من أقوال وأدلة العلماء القائلين بأن ترتيب السور توقيفي**

وبعد بيان استعراض أقوال وأدلة القائلين بالقول بأن ترتيب السور توقيفي والحكم عليها يتبين لنا ما يلي:

أولاً: قوة أدلتهم وحجيتها ووجاهتها ورجحانها

ثانياً: أن ترتيب السور المصحفي الذي استقر عليه المصحف الإمام هو الموافق لما هو مثبت في اللوح المحفوظ بلا شك وهو الذي أجمع عليه الصحابة - رضي الله عنهم - وتلقته الأمة بالقبول وعليه يجب التمسك والاعتصام والعمل به وعدم الحيد عنه سواء كان هذا الترتيب ترتيباً توقيفياً أم ترتيباً اجتهادياً، مع رد الدعوات المغرضة المنادية بإعادة ترتيب المصحف ترتيباً نزولياً أو ترتيباً موضوعياً ورد أي دعوة مماثلة لتلك الدعوي الباطلة الهابطة كتلك الدعوي التي صدرت من بعض المستشرقين الذين سيأتي ذكرهم ومن تأثر بهم وتابعهم ونادى بفكرتهم من بعض المعاصرين كذلك.

## المبحث السادس: بداية مخالفة ومعارضة الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي وبيان مصدره

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: أول من خالف وعارض الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي**  
لقد تعرّض لهذا الترتيب فئة من المستشرقين ولا غرابة في ذلك فهذا شأنهم وديدهم، ولكن عندما يتعرض لهذا الترتيب فئة من بني جلدتنا ومن ينتمون لقبلتنا فمن هنا يأتي التعجب!  
فإن "كل" من الشيخ "عبد القادر ملا حويش"، والأستاذ "محمد عزة دروزة"، وهما (معاصرين) قد أقرّا بأن ترتيب السور في المصحف توقيفي ولا يجوز مخالفة هذا الترتيب، لأنه كان بوحي من الله إلى جبريل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-". (٦٠)  
ومع ذلك فقد خالفا الترتيب التوقيفي في تفسيريهما، وقد احتجا بأن طريقة تناول التفسير تختلف عن الترتيب المصحفي، وقد قدما أعتذارًا لا تقوم بها حجة ولا تضح بها محجة.  
وقد أملى كل من "حويش" و"دروزة" تفسيرًا معاصرًا قد رتبه كل منهما ترتيبًا نزوليًا لا ترتيبًا مصحفيًا، و"حويش" هو رأس الحربة الذي ابتداء هذا الأمر الجلل، إذ هو أول من أقبل على هذا العمل الذي خالف فيه ما درج عليه أئمة التفسير وسادات التحبير والتأويل سلفًا وخلقًا كما سيأتي بيان ذلك وإيضاحه في موضوعه، ثم تبعه "دروزة"، وقد تبعهما على هذا العمل كذلك الشيخ "جنبكة الميداني" كما سيأتي الكلام على تلك التفاسير بشيء من التفصيل والإيضاح والبيان.

وجميع هؤلاء بذلك قد خرّقوا إجماع الأمة على اتباع الترتيب المصحفي والذي عليه عمل أئمة التفسير من السلف والخلف، وفي حدود علم الباحث واطلاعه الضيق أن هذا العمل لم يسبقهم إليه أحدٌ أبدًا من هذه الأمة، إلا ما كان من دعوة ونداء بعض المستشرقين لإعادة ترتيب القرآن

٦٠- يُنظر: بيان المعاني ٣/١، تفسير بيان المعاني (وهو تفسير كتاب الله الحكيم حسب النزول) ويعد الأول من نوعه حتى تاريخه، الناشر: مطبعة الترقى، مكان الطبع: دمشق، سنة الطبع: ١٣٨٢ ق، عدد الأجزاء: ٠٦، والتفسير الحديث ٩/١، التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول) المؤلف: دروزة محمد عزت الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ، رقم الطبعة: ٢، عدد المجلدات: ١٠، ويُنظر: التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان: د. مصطفى مسلم. مقال عن موقع أهل التفسير، بتاريخ: ١٥/١٢/١٤٣٢ هـ. بتصرف يسير لينتظم الكلام ويتألف فحسب.

ترتيبًا نزوليًا وذلك سعيًا منهم لبث الشبهات حول القرآن ولزعزعة الثقة في كتاب الله ولاسيما في نفوس الأجيال المقبلة.

### المطلب الثاني: أبرز المستشرقين الداعين لإعادة ترتيب القرآن ترتيبًا نزوليًا

لقد عارض جماعة من المستشرقين الترتيب المصحفي طالين وداعين بإعادة ترتيب القرآن ترتيبًا نزوليًا، بل فعل ذلك بعضهم ثم ندم وتراجع لما لم يتحقق له مأربه المرجو تحقيقه من وراء ذلك. ومن أبرز هؤلاء المستشرقين:

- ١- المستشرق الألماني غوستاف ليرشت فلوجل: (ت: ١٢٧٨هـ).
  - ٢- والمستشرق الألماني اليهودي غوستاف فايل: (ت: ١٣٠٦هـ).
  - ٣- والمستشرق الألماني فريدريش شفالي: (ت: ١٣٣٨هـ)، وهو تلميذ تيودور نولدكه
  - ٤- وشيخ المستشرقين الألماني تيودور نولدكه: (ت: ١٣٤٩هـ).
- وهو من أوائل المستشرقين الذين أثاروا مسألة إعادة ترتيب القرآن الكريم، "وفق ترتيب النزول". ولقد أفنى جزءًا كبيرًا من حياته، معتمدًا على كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي من رجال القرن الخامس. (٦١)
- ويقال بأنه ندم في آخر حياته على الجهد الكبير الذي بذله في علم لا يمكن أن يصل فيه إلى نتائج قطعية بسبب اختلاف الروايات وتضاربها.
- ٥- والمستشرق الإنجليزي ديفيد صموئيل مرجليوث: (ت: ١٣٥٨هـ).
  - ٦- والمستشرق الفرنسي ريجي بلاشير: (ت: ١٣٩٣هـ)
- وقد قام "بلاشير" (زعمًا منه) بترجمة القرآن الكريم للفرنسية عام ١٣٧١هـ-١٩٥٠م، والحقيقة أن الترجمة تمتنع تمامًا لأسباب كثيرة لا يسع المجال لذكرها، وإن الذي يمكن ترجمته إنما هو معاني القرآن فحسب.

وقد رتب "بلاشير" تلك الترجمة المزعومة بحسب ترتيب النزول أول الأمر. ثم بعد سبع سنوات من تأمله ثبت لديه عدم صواب وجدوى طريقته الأولى التي استخدمها ألا وهي الترتيب بحسب ترتيب النزول فأعاد ترتيب ترجمته هذه بحسب الترتيب المصحفي.

٦١ - يُنظر: تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني: (ص: ٧١).

### المطلب الثالث: أبرز من تأثر بالمستشرقين من المعاصرين

ولقد تأثر هؤلاء المستشرقين الكفرة بعض المعاصرين كذلك، ومن أمثال هؤلاء:

١- يوسف راشد الذي يقول:

"إن ترتيب القرآن في وضعه الحالي يبلبل الأفكار ويضيع الفائدة من تنزيل القرآن، لأنه يخالف منهج التدرج التشريعي الذي روعي في النزول. ويفسد نظام التسلسل الطبيعي للفكرة، لأن القارئ إذا انتقل من سورة مكية إلى سورة مدنية اصطدم صدمة عنيفة، وانتقل بدون تمهيد إلى جو غريب عن الجو الذي كان فيه. وصار كالذي ينتقل من درس في الحروف الأبجدية إلى درس في البلاغة". (٦٢)

وكذلك له رسالة تحت عنوان: "رتبوا القرآن كما أنزله الله".

وقد أقام الله لها الدكتور / محمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٨هـ) - رحمه الله - فقام بالرد عليها بتقرير رفعه إلى إدارة الأزهر. (٦٣)

٢- وميرزا باقر الأسكوي الحائري الرافضي (ت: ١٣٠١ هـ)

٣- والدكتور يوسف صديق التونسي (معاصر) من مواليد (١٣٦٢هـ)، هو فيلسوف وعالم انثروبولوجي.

٤- وعائشة بنت عبد الرحمن المعروفة بـ "بنت الشاطئ" (ت: ١٤١٩هـ) والتي لها التفسير البياني للقرآن، وقد صدر في جزئين تناولت فيه تفسير بعض سور القرآن.

٦٢- مقال: "النقد الفني لمشروع ترتيب القرآن الكريم حسب نزوله"، عبد الله دراز، مجلة الأزهر، رئيس التحرير: محمد فريد وجدي بك، تحت إدارة ديوان الإدارة للأزهر، والمعاهد الدينية، بالقاهرة، عدد شهر رمضان سنة (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، مجلد ٢٢). مطبعة الأزهر، ص: ٧٨٤.

٦٣- وقد نشر هذا الرد في مجلة "كنوز القرآن" في عدد أكتوبر ١٩٥١م. يُنظر: الجمع الصوتي للقرآن: (ص: ٣٥٩) وهامش (١).

## الفصل الثاني عرض ودراسة ومناقشة التفاسير الثلاثة التي رُتبت على ترتيب النزول

والتَّفاسِيرُ الثَّلَاثَةُ هي:

١- تفسير بيان المعاني: وهو "تفسير كتاب الله الحكيم حسب النزول لـ" حُوَيْش "

٢-التفسير الحديث: لـ" دروزة "

٣- كتاب "معارج الفكر ودقائق التدبر" لـ" حبنكة الميداني "

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: عرض ودراسة ومناقشة التفسير الأول "بيان المعاني لـ"

عبد القادر ملا حُوَيْش " (ت: ١٣٩٨هـ)

وفيه ستة مطالب:

ولابد من إلقاء نظرة مختصرة على تلك التفاسير التي خرقت جمع الأمة بهذا الشأن الجلل، وهي تأتي في المطالب التالية على النحو التالي:

المطلب الأول: التعريف بتفسير "بيان المعاني" ومؤلفه "ملا حُوَيْش "

أما التفسير فهو "تفسير كتاب الله الحكيم حسب النزول لـ" حويش". ويعد هذا التفسير هو الأول من نوعه حتى تاريخه في حدود ما نعلم، وفي حدود ونطاق ما وصلنا علمه.

و حُوَيْش هو: عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي(ت: ١٣٩٨هـ) العاني(٦٤) الديرزوري(٦٥) الفراتي. (٦٦) وهو حنفي أشعري.

"واتهم بأنه كان "صوفيًا نقشبنديًا"، ولكن ابنه نفى ذلك وأخبر أنه كان يذهب إلى شيخ الطريقة النقشبندية ويستضيفه في بيتنا". (٦٧) فحسب!!!

٦٤-نسب إلى مدينة عانة العراقية المحاذية للحدود السورية، والتي هي مسقط رأسه.

٦٥-نسبة لمدينة دير الزور السورية التي تعلم فيها، والتي تقع على الحدود الشرقية، من العراق.

٦٦-الشيخ عبد القادر ملا حويش واعظ ومؤلف وفقه وقاضي ومفسر للقرآن من أعلام علماء العراق، ينظر: الموسوعة الحرة "ويكيبيديا"، نقلاً عن الشاملة

٦٧- يُنظر: التفسير والمفسرون أساسه واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث. د فضل حسن عباس: (٣/٢٥٠)، دار النفائس-عمان-الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ.

ولقد طُبِعَ كتابه طبعته الأولى في مطبعة الترقى بدمشق عام: ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م، في ثنتي عشر جزءاً مجموعة في ست مجلدات من الحجم الكبير. وليته ما طُبِعَ

المطلب الثاني: الكتب التي اعتمد عليها "خُوَيْش" في تفسيره

**أ- كتب التفسير التي اعتمد عليها "خُوَيْش"**

وقد اعتمد في تفسيره على عدد من كتب التفسير منها:

- ١- تفسير الخازن: "الباب التأويل في معاني التنزيل" والخازن هو: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ).
- ٢- تفسير النسفي: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" والنسفي هو: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ).
- ٣- تفسير البغوي: "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، والبغوي هو: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ).
- ٤- تفسير النخجواني: "الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية"، والنخجواني هو: نعمة الله بن محمود النخجواني ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ).
- ٥- تفسير أبي السعود: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ).
- ٦- تفسير روح البيان للخلوتي: "روح البيان في تفسير القرآن"، والخلوتي هو: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ).
- ٧- تفسير روح المعاني للألوسي: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، والألوسي هو: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ).
- ٨- تفسير البيضاوي: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، والبيضاوي هو: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ).
- ٩- تفسير الكشاف للزمخشري المعتزلي: "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، والزمخشري هو: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ).
- ١٠- تفسير محي الدين بن عربي الصوفي: "عرائس البيان في حقائق القرآن"، وابن عربي هو: أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي (ت: ٦٣٨هـ).

## ب- كتب الفقه التي اعتمد عليها "حُوَيْش"

ومن الكتب الفقهية التي اعتمد عليها:

- ١- المبسوط للسرخسي، والسرخسي هو: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ).
- ٢- رد المحتار على الدر المختار، وحاشيته لابن عابدين، وابن عابدين هو: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢هـ).
- ٣- شرح مختصر الطحاوي للجصاص، والجصاص هو: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، والطحاوي هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي (ت: ٣٢١هـ).

## ج- كتب الصوفية التي اعتمد عليها "حُوَيْش"

ومن كتب الصوفية التي اعتمد عليها:

- ١- عوارف المعارف لشهاب الدين عمر السهروردي (ت: ٦٣٢هـ).
- ٢- البهجة السنية لمحمد بن عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي (١٢٧٩هـ).
- ٣- ونور الهداية والعرفان لأسعد صاحب وهو: أسعد بن محمود الكردي الشهرزوري الدمشقي النقشبندي، (ت: ١٣٧٤هـ).
- ٤- والإنسان الكامل لعبد الكريم الملقب بـ "الجيلي أو الجيلاني" (ت: ٨٢٦هـ).
- ٥- إحياء علوم الدين للغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، والرسالة القشيرية في التصوف لأبي القاسم القشيري (ت: ٤٦٥هـ).

## د- الكتب التي اعتمد عليها "حُوَيْش" في تحرير السور المكية والمدنية والقراءات

واعتمد في تحرير السور المكية والمدنية والقراءات على الكتب التالية:

- ١- كتاب عدد سور القرآن، وآياته وكلماته وحروفه وتلخيص مكيه من مدنيه لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي (ت: ٤٠٠هـ).
- ٢- كتاب ناظمة الزهر للإمام ابن فيرّه - بكسر الفاء وسكون التحتية وتشديد الراء- الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ) وشرحه لأبي عيد رضوان المخلاقي (ت: ١٣١١هـ). (٦٨).
- ٣- كتاب إرشاد القراء والكتابين للمخلاقي أيضًا (٦٩).

٦٨- هو: رضوان بن محمد بن سليمان، أبو عيد، المعروف المخلاقي، من العلماء بالقراءات، ومن مؤلفاته: فتح المقفلات، وشفاء الصدور، والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز. توفي عام ١٣١١هـ = ١٨٩٣م. (الأعلام للزركلي: (٥٣/٣)).



### المطلب الثالث: طريقته في التفسير

وطريقته في التفسير هو أن يبدأ باسم أول سورة نزولاً، ثم التي تليها بالترتيب الزمني من حيث النزول، ثم ذكر معناه والإشارة إلى الأسماء الأخرى إن زُوِيَ لها أكثر من اسم، وعدد آياتها وعدد كلماتها وحروفها، وذكر ناسخها ومنسوخها، ثم الإشارة إلى الكلمات التي بدأت أو ختمت بها السورة، وتكرارها، أو عدد تكرارها، ومكان نزولها وتاريخ نزولها والأقوال التي فيها ثم يدخل في تفسير الآية تفسيراً بيانياً تحليلياً.

وكان منهجه في تفسير الآية، تقسيم البحوث إلى الموضوعات مجزأً، ونقل الأقوال معنوياً باسم الناقل؛ والاستشهاد بالمأثورات والشعار مستنداً، ونقل كلمات العرفاء والصوفية مؤيداً<sup>(٧٠)</sup>.

### المطلب الرابع: أول دراسة حول هذا التفسير

وقد قام باختصار هذا التفسير "بيان المعاني" علاء محمد سعيد، وطبع بإصدار مكتبة أبي أيوب الأنصاري بدمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. (٧١) وليته اقتصر على دراسته ونقضه بدلاً عن اختصاره.

<sup>٦٩</sup>- يُنظر: بيان المعاني، ج ١/ ٤. بتصرف

<sup>٧٠</sup>- للاستزادة يُنظر: بيان المعاني، ج ١/ ٢٠٤ و ٤٢٢ و ٤٨١

<sup>٧١</sup>- للاستزادة يُنظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم: محمد علي أيازي: ج ١، ص ٣٢٤-٣٢٩. مع الانتباه والحذر الشديد لأن الكاتب رافضي وكذلك خرج كتاب مثل كاتبه، وفيه من الخلط والأباطيل ما الله به عليم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

"والرافضة أمة مخذولة، ليس لها عقل صحيح، ولا نقل صحيح، ولا دين مقبول، ولا دنيا منصوره". منهاج السنة (٨/٤٧٩).

وقال-رحمه الله- أيضاً:

"أكاذيب الرافضة لا يرضاها أكثر العقلاء من الكفار!!!". درء تعارض العقل والنقل: (٧/٧٢).

المطلب الخامس: دراسة نقدية مختصرة لتفسير "خُوَيْش"

لقد انتقد هذا التفسير انتقاداً شديداً وأخذت عليه وعلى جامعه ما أخذ كثيرة وكبيرة وطوام شديدة وإن كانت واحدة لكافية، والتي من أبرزها ما يلي:

- ١- تناقض أسلوبه وركاكنه
- ٢- مخالفته لصريح القرآن وصحيح السنة في كثير من المواضع من كتابه
- ٣- إخراجة لكثير من النصوص عن دلالتها
- ٤- استشهاده ببعض الإسرائيليات، كالتى يفترى فيها بنو إسرائيل على أنبيائهم
- ٥- اعتقاده في صحة بعض القصص الواهية والموضوعة والمنكرة كقصة الغرائق.
- ولو أنه طالع بعض ما كتبه أحد أعلام الأمة في ذلك لكفاه. (٧٢)
- ٦- إيراده للخرفات وإمعانه فيها بكثرة، وهذه سمة بارزة في تفسيره
- ٧- تناقضه في إثبات رؤية الله عز وجل نفيًا وإثباتًا
- ٨- تحبظة الواضح المصحوب بضعفه في الصناعة التفسيرية
- ٩- جهله ببيدهيات اللغة التي نزل بها القرآن
- ١٠- عدم معرفته للتاريخ وجهله به
- ١١- الإغراب والإتيان بالعجائب
- ١٢- رده للإجماع
- ١٣- جهله بالسنة ورده لها، وتضعيفه للأحاديث الصحيحة الثابتة، واستشهاده بالموضوعات، وطعنه كذلك في صحيح البخاري ومسلم الذين هما أصح الكتب المصنفة والذين تلقتهما الأمة بالقبول. (٧٣).

قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) - رحمه الله-:

"وقد اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز صحيحا البخاري ومسلم، وقد تلقتهما الأمة بالقبول". (٧٤)

٧٢- ككتاب "نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق" لمحدث العصر أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي.

٧٣- وللاستزادة يمكن الاطلاع على نقد قريب من هذا النقد وقد يزيد عليه فيما ذكره في نقد تفسيره، د. فضل حسن عباس في كتابه: التفسير والمفسرون أساسه واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث (٣/٢٤٥ وما بعدها)، دار النفائس- عمان-الأردن، ١، ١٤٣٧هـ. وقد أشار لمواضع نقده في كتاب "بيان المعاني" ل عبد القادر ملا حويش.

قال ابن طاهر القيسراني(ت: ٥٠٧هـ)-رحمه الله:-

"أجمع المسلمون على قبول ما أخرج في "الصحيحين" لأبي عبد الله البخاري، ولأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، أو ما كان على شرطهما ولم يخرجاه". (٧٥)

وأخيراً

فإن هذا التفسير الجامع المانع كما وصفه صاحبه والذي كان أبناء عصرنا في أمس الحاجة إليه. من الحق أنه جامع حقاً، ولكن لكل ما هو غريب وضار ومنكر وموضوع. وإنه لمانع كذلك، ولكن لكل ما فيه لأهل هذا العصر من خير في دينهم ودنياهم، وأنه ينبغي أن يحال بين هذا الكتاب وأهل هذا العصر، والذي يطعن صاحبه في أصح الكتب بعد كتاب الله، ومع ذلك فقد ملأ كتابه بما هو بعيد كل البعد عن التفسير ومعناه.

وبعد فلا أرى داعياً لتقييم هذا التفسير، فإن نصوصه هي خير مقيم له.

وإن كان الخازن كما يسميه البعض خازناً للإسرائيليات كما قيل، فإن مفسرنا خزان لا للإسرائيليات فحسب، بل للأحاديث الموضوعية والمنكرة التي يتورع عن ذكر مثلها الخازن وغيره، وإن كان الثعالبي حاطب ليل كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ)، فإن مفسرنا حاطب في ليل دامس، وأخيراً فإن مثل هذا التفسير يستدعي من العلماء العناية والرقابة حول ما يكتب حول كتاب الله، هذا ونسأل الله أن يجنبنا الزلل في القول والعمل وأن يجعلنا من المتيقظين لهذا وأمثاله، ولا حولاً ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". (٧٦)

ولاشك أن ملا حويش لم يفعل ذلك ويقدم عليه إلا لدوافع يراها ويقتنع بها،

**فقد قال في مقدمة تفسيره بيان المعاني:**

"واعلم أن الخليفة عثمان-رضي الله عنه- ومن معه من الأصحاب إنما لم يأخذوا برأيه- أي رأي الإمام علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- حيث كان قد رتب مصحفه على ترتيب النزول- لأن السور والآيات كانت مرتبة ومجموعة على ما هو في المصاحف الآن، وهو أمر توقيفي لا مجال

<sup>٧٤</sup>- شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٤).

<sup>٧٥</sup>- صفوة التصوف، نقلاً عن أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين للشيخ ثناء الله الزاهدي (١٨/ ٢٩٤- ضمن مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد).

<sup>٧٦</sup>- يُنظر: التفسير والمفسرون أساسه واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث(مرجع سابق). د فضل حسن عباس:

(٣/٢٥٧)، دار الفرائس-عمان-الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ. بتصرف يسير.

للرأي فيه، وليعلم أن تفسيره على رأي الإمام علي كرم الله وجهه<sup>(٧٧)</sup> لا يشك أحد بأنه كثير الفائدة عام النفع، لأن ترتيب النزول غير التلاوة، ولأن العلماء رحمهم الله لما فسروه على نمط المصاحف اضطروا لأن يثيروا لتلك الأسباب بعبارات مكررة، إذ بين ترتيبه في المصاحف وترتيبه حسب النزول بعد يرمي للزوم التكرار، بما أدى إلى ضخامة تفاسيرهم، ومن هذا نشأ الاختلاف بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والأخذ والرد فيما يتعلق منهما.

وقد علمت بالاستقراء أن أحدًا لم يقدم تفسيره بمقتضى ما أشار إليه الإمام عليه السلام، ويكفي القارئ مؤنة تلك الاختلافات وتدوينها، ويعرف كيفية نزوله ويوفقه على أسباب تنزيله ويذيقه لذة معانيه وطعم اختصار مبانيه بصورة سهلة ميسرة، خالية عن الرد والبدل، سالمة من الطعن والعلل، مصونة من الخطأ والزلل، فعن لي القيام بذلك، إذ لا مانع شرعي يحول دون ما هنالك، وأراني بهذا متبعًا لا مبتدعًا، مؤملًا أن يكون عملي هذا سنة حسنة... مبيئًا أول ما نزل إلى الفترة والفترة، وسببها ومدتها وأول ما نزل بعدها، وسبب وتاريخ كل منها، ومكانه وزمانه وقصصه وأخباره وأمثاله وأحكامه، والآيات المكررة وسبب التكرار، ونظائرها مما يناسبها باللفظ والمعنى، والكلمات التي لم تكرر فيه، (عدا ما كان بين سورة (ق) إلى (الحديد) وجزئي (تبارك) و (عم) لأن كثيرًا من كلماتها، لم تكرر لما هي عليه من السجع العجيب واللفظ الغريب. وما هو موافق لشرع من قبلنا منه... وخلاصة القصص المعقولة والغزوات المرموقة".<sup>(٧٨)</sup>.

<sup>٧٧</sup> - قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

قلت: وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال: "عليه السلام" من دون سائر الصحابة أو "كرم الله وجهه"، وهذا وإن كان معناه صحيحًا لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم. يُنظر: تفسير ابن كثير: (٣ / ٥١٧ - ٥١٨).

و"تلقب علي بن أبي طالب بتكريم الوجه وتخصيصه بذلك من غلو الشيعة فيه، ويقال إنه من أجل أنه لم يطلع على عورة أحد أصلاً، أو لأنه لم يسجد لصنم قط. وهذا ليس خاصًا به بل يشاركه غيره من الصحابة الذين ولدوا في الإسلام.

يُنظر: فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، فتوى رقم: (٢٨٩/٣).

وكذلك تخصيص علي بن أبي طالب رضي الله عنه وآل البيت بالسلام من خصائص الراضية كذلك. فلينتبه الباحث.

<sup>٧٨</sup> - يُنظر: مقدمة تفسير بيان المعاني ٤/١.

ومما يرد قوله بـ " أن عثمان لم يأخذ رأي علي والأصحاب "

قول علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- نفسه:

" يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن مأل منا جميعاً". (٧٩)  
وقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يدل على أنهم قد أجمعوا عليه إجماعاً سكوتياً-رضي الله عنهم أجمعين.

كما يرد قوله كذلك موقف ابن مسعود - رضي الله عنه - :

قال ابن كثير - رحمه الله -:

"روي عن عبدالله بن مسعود أنه غضب لما أخذ منه مصحفه فحرق، وتكلم في تقدّم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف، فكتب إليه عثمان بن عفان رضي الله عنه يدعوه إلى اتّباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأنا اب عبدالله بن مسعود، وأجاب إلى المتابعة، وترك المخالفة-رضي الله عنهم أجمعين-". (٨٠)  
وكذلك إجاب ابن مسعود-رضي الله عنه- إلى المتابعة في تقديم مصحفه للحرق تعزز ما ذكرناه آنفاً من قول علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- تقوى وتؤكد وتعزز القول بالإجماع السكوتي من جهة، وتقرر الإجماع الفعلي من جهة أخرى كذلك، فرضي الله عنهم أجمعين.  
والإشكال هنا أن الشيخ "حويش" ممن يرى أن ترتيب السور توقيفي، ولو قلنا أن علياً أو غيره من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين- قد رتب مصحفه ترتيباً نزولياً، فالرد على ذلك يكون من جهتين:

الجهة الأولى: أن ذلك كان أول الأمر قبل الجمع البكري ثم الجمع العثماني

الجهة الثانية: ولو كتب أيّ منهم مصحفاً خاص به لأي سبب من الأسباب فهل يُعمم ذلك المصحف ويترك المصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة كلهم بما فيهم علي بن أبي طالب-رضي الله عنهم أجمعين-، ولاشك أن المصاحف التي بين يدي الناس اليوم إنما هي منسوخة عن المصحف الإمام الذي استقرت عليه العرصة الأخيرة، والعرصة الأخيرة موافقة لما هو مثبت في اللوح المحفوظ.

٧٩- المصاحف؛ لابن أبي داود ص ٩٦.

٨٠- البداية والنهاية؛ لابن كثير: (٧ / ٢٢٨). وقد سبق تخرجه. بتصرف يسير.

## ويمكن تلخيص أبرز دوافع الشيخ "حويش" في النقاط التالية:

- ١- تجنب ما وقع فيه المفسرون من التكرار بما أدى لضخامة تفاسيرهم.
- ٢- تجنب الاختلاف بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ.
- ٣- لتعريف القارئ كيفية نزول القرآن وتوقيفه على أسباب نزوله.
- ٤- ليتذوق القارئ معاني القرآن وطعم اختصار مبانيه بصورة سهلة يسيرة خالية عن الرد والبدل، سالمة من الطعن والعلل، مصنونة من الخطأ والزلل.

المطلب السادس: حصر دوافع إقدام "حُوَيْش" على تغيير الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي ومناقشتها

### يمكننا حصر دوافعه ومناقشتها وفق أهدافه التالية:

**الهدف الأول:** تجنب ما وقع فيه المفسرون من التكرار بما أدى إلى ضخامة تفاسيرهم. لم يسق لنا الشيخ ملا حويش مقارنة بين تفسيره وتفسير أخرى ورد فيها التكرار لكي نكون على بينة مما يقول. ثم كيف يتجنب المفسر- منهم "ملا حويش"- آيات وردت في المرحلة المكية مجملًا كآيات سورة الإسراء وفيها الأمر بالالتزام بأهمات الأخلاق ثم وردت في سورة الأنعام المكية أيضًا وهي قريبة جدًا مما ورد في سورة الإسراء.

وقل مثل ذلك فيما ورد في سورة المعارج المكية وسورة المؤمنون من صفات وأعمال تكاد تكون متطابقة، وقد فسرهما الشيخ "ملا حويش" نفسه هنا وهناك.

وقل مثل ذلك في قصص الأنبياء التي تكررت مرات عديدة تارة بالإجمال وتارة بالتفصيل وأخرى تناولت جانبًا من جوانب حياة الأنبياء أو أسلوبًا من أساليب دعوتهم. كقصة إبراهيم عليه السلام وقصة نوح عليه السلام وقصة موسى عليه السلام، فالمفسر ليس أمامه إلا أن يسير مع الآيات ويعرض الأسلوب القرآني المعجز في عرض الأمر وينبه على الجانب الخاص المذكور في كل مرة وبإمكانه الإحالة على الموضوع المتقدم من التفسير كما يفعل أغلب المفسرين فهم يحيلون القارئ كثيرًا إلى بعض الجزئيات المتقدمة ويقول: وقد ذكرنا تفصيل هذا الأمر في سورة كذا عند الحديث عن كذا. (٨١)

٨١- ولولا حجم البحث المختصر لأوردت نماذج من كلام المفسرين على هذا، ولأوردت-

(د. مصطفى مسلم)- رحمه الله- من كلام ملا حويش ما يناقض قوله وأنه وقع في عكس ما دعاه من تجنب التكرار. )  
ينظر سورة الإسراء والأنعام، وسورة المعارج والمؤمنون) في تفسير ملا حويش.

أما قول الشيخ بأن ضخامة تفاسير القدماء كان سببه التكرار، أقول إن سبب ضخامة التفاسير هو العلوم والمضامين التي تناولوها، والجوانب التي تعرضوا لها في تفسير الآيات من قضايا عقدية أو لغوية أو فقهية أو ردود على بعض الأقوال التي لم يرتضوها.. وهكذا. وليست قضية التكرار كما زعم الشيخ.

ثم إن تفسيره قد زاد على ثلاثة آلاف صفحة فهو مكون من اثني عشر جزءًا تقع في ست مجلدات كبار أليس هذا تفسيرًا ضخماً؟!.

**الهدف الثاني:** تجنب الاختلاف بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ:

لم أدرك ما قصده الشيخ بتجنب الاختلاف بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ فمن المعلوم أن ترد روايات في أسباب النزول بعضها صحيح وبعضها سقيم وعلى المفسر أن يدرس هذه الروايات ويأخذ بالرواية الصحيحة ويترك الأخرى، فما علاقة ذلك بترتيب النزول؟! وقد فعل الشيخ ذلك، ولكن لم يفعله على الديمومة إنما كان يفعله في بعض الأحيان - فلم يلتزم بالأخذ بالصحيحة دائماً وإنما أخذ بالرواية الضعيفة، وقد يترك الصحيحة منها أحياناً.

ومثل ذلك في الناسخ والمنسوخ، فإن الأحكام التي ترد في بعض الآيات ولا يمكن الجمع بين هذه الآيات وعلمنا وقت نزول الآيتين فإننا نحكم بنسخ الآية المتقدمة في النزول، كما هو مدون في قواعد الترجيح لدى علماء التفسير وعلماء أصول الفقه.

وسواء كان تفسير القرآن على حسب ترتيب المصحف أو على حسب ترتيب النزول فإن دراسة الآيتين تأخذ بعداً معيناً ومنهجاً محددًا في الدراسة والمقارنة، فأيتا عدة المتوفى عنها زوجها في سورة البقرة<sup>(٨٢)</sup>، الآية الناسخة متقدمة في ترتيب الآيات، والآية المنسوخة متأخرة في الترتيب. ومع ذلك لم يكن هناك إشكال عند أي مفسر في ذكر الآية الناسخة وتحديد حكم المنسوخ، لأنه لا بد من تفسير الآيتين وتحديد المتأخرة في النزول منهما ثم بيان التعارض وبالتالي الحكم بنسخ إحداها. أما الهدف الثالث: قول الشيخ "ملا حويش": لتعريف القارئ كيفية نزول القرآن وتوقيفه على أسباب تنزيله:

وهذا الجانب أشبعه المفسرون بحثًا حيث ذكروا وقت نزول السورة والآيات وذكروا الروايات التي تحدد أسباب النزول. ولم يتركوا شاردة ولا واردة في ذلك إلا ذكروها. بل كان الشيخ "ملا حويش" ومن تبعه في التفسير حسب ترتيب النزول عالة على المفسرين السابقين في أخذ الروايات التي

<sup>٨٢</sup> - يُنظر: الآية الناسخة (٢٣٤) البقرة، والآية المنسوخة (٢٤٠) البقرة.

ذكرت مكية السورة أو مدنيتهما، وبينت أسباب النزول، ذكروا كل ذلك مع التزامهم بترتيب السور حسب ما وردت في المصحف.

أما الهدف الرابع: قول الشيخ "ملا حويش": ليتذوق القارئ لذة معاني القرآن وطعم اختصار مبانيه بصورة سهلة يسرة..

ما علاقة تذوق لذة معاني القرآن بالترتيب، إن تذوق المعاني يأتي في تفسير السورة بأسلوب بليغ جميل فما علاقة ذلك بالترتيب، ويتأتى ذلك من المنهجية التي اتبعها المفسر في كتابه من تفسير القرآن بالقرآن وبصحيح السنة النبوية بأقوال الصحابة الثابتة، وبفهم أوتيها المفسر وملكته الخاصة التي لا تنحرف بها الأهواء.

مادامت السورة هي الوحدة الكاملة التي يتناول تفسيرها، فلا علاقة لموقعها بالتفسير وتذوقه وسلامته من الطعن والعلل والخطأ والزلل.

إن الأهداف والدوافع التي ذكرها ملا حويش وادعى أنها هي التي حملته على تفسير القرآن حسب ترتيب النزول تتحقق في كل تفسير بغض النظر عن ترتيب السور مادام المفسر متبعًا منهجًا سليمًا ذا أسلوب جميل صحيح في عرض معاني الآيات". (٨٣)

## المبحث الثاني: عرض ودراسة ومناقشة التفسير الثاني "التفسير الحديث" لـ "محمد عزة دروزة" (ت: ١٤٠٤هـ)

**وفيه ثمانية مطالب:**

**المطلب الأول: التعريف بتفسيره**

وهو ثاني تلك التفاسير التي سلك مصنفوها ونهجوا نهجًا خاصًا ليس عليه عمل السلف في ترتيب السور ترتيبًا نزوليًا لا ترتيبًا مصحفيًا.

وتفسيره قد حوى القرآن الكريم كله، وقد رتبته على ترتيب النزول، وصدرت له طبعتان: الأولى سنة: ١٩٦٤م- في القاهرة بمطبعة عيسى البابي الحلبي وهي طبعة جميلة ونفيسة، و الثانية وهي المنقحة المصححة عن نسخة المؤلف صدرت سنة ٢٠٠٠ م عن دار الغرب الإسلامي ببيروت، وقد صدر في اثني عشر جزءًا مجموعة في ست مجلدات. وقد توفي رحمه الله في شوال سنة ١٤٠٤هـ.

<sup>٨٣</sup> - التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان د. مصطفى مسلم. بحث عن موقع أهل التفسير، بتاريخ: ١٥/١٢/١٤٣٢هـ. بتصرف.



**المطلب الثاني: حجة "دروزة" في إقدامه على تغيير الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي**  
هذا ولقد صدر الأستاذ "دروزة" مقدمة تفسيره ببعض الفتاوى التي استند إليها واستجاز بها صنيعه هذا، وهي فتوى الشيخ أبي اليسر عابدين والشيخ عبدالفتاح أبي غدة، وقد أفتياه بالجواز، مفرقين بين الترتيبين، مبينين أن الترتيب المصحفي من أجل التلاوة، وأن ترتيب التفسير يختلف عن ترتيب في التلاوة.

وقد صدرهما "دروزة" تفسيره كما أسلفنا وهما على النحو التالي:

**الأولى: ملفتي سوريا "أبي اليسر عابدين" (ت: ١٨٨٩هـ)، ونصها:**

"ليس التفسير بقرآن يُتلى، حتى يُراع فيه ترتيب الآيات، والسور، فقد يمكن للمفسر أن يفسر آية، ثم يترك ما بجانبها لظهور معناها، وقد يفسر سورة، ثم يترك ما بعدها اعتماداً على فهم التالي، ولا مانع من تأليف تفسير على الشكل المذكور، والله أعلم".

**والثانية: لـ"عبد الفتاح أبي غدة" (ت: ١٤١٧هـ)، جاء فيها:**

"إن شبهة المنع لهذه الطريقة، آتية من جهة أنها طريقة تخالف ما عليه المصحف الشريف، ودفعها أن المنع يثبت فيما فيها لو كان هذا الصنيع سلوكاً من أجل أن يكون هذا الترتيب مصحفاً للتلاوة... ويستأنس لسواغية هذه الطريقة بما سلكه أجلة من علماء الأمة المشهود لهم بالإمامة والقدوة من المتقدمين في تأليفهم، ولم يعلم أن أحداً أنكر عليهم ما صنعوا". (٨٤)

وكان يُتَحْتَمَ لزاماً على أبي غدة بيان من ذكرهم ممن سبق لهذا العمل من العلماء.

**أما "دروزة" فقال:**

ويحضرني منهم الآن الإمام ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ من الهجرة، فقد مشى في تفسير ما فسره في كتابه المطبوع "تأويل مشكل القرآن" على غير ترتيب النزول وعلى غير الترتيب المتلو الآن، ولا أشك أن هناك غيره من شاركه في هذه الطريقة من علماء عصره وما بعده، ممن لا يسعني الآن البحث عنهم، لضيق الوقت لدي. (٨٥).

**الداعي عند "دروزة" وعند ابن قتيبة لا يتفقان:**

فإن كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة يُعد من أنفس ما كُتِبَ في الرد على الملحدون والزنادقة الذين طعنوا في القرآن ووصفوه بأنه يشتمل على أشياء مشككة. وقد انبرى ابن قتيبة لعرض شبهاتهم ومطاعنهم ورد عليها ردًا علميًا مؤصلاً مقرونًا ببراهين ساطعات قاطعات وحجج

<sup>٨٤</sup> - محمد عزت دروزة، مقدمة التفسير: (ص: ٧١١).

<sup>٨٥</sup> - المرجع السابق: (١/١١).

وبراهين دامغات مقرونة بأدلة نقلية وعقلية مفحمة مسكتة، فكان الدافع والباعث له على تصنيف كتابه هذا هو الذب عن حياض الكتاب العزيز.

"لقد وضع ابن قتيبة كتابه "تأويل مشكل القرآن" للدفاع عن حمى القرآن الكريم ضد الشكوك التي تثار حوله، والمطاعن التي تسدد نحوه، وانتدب نفسه لدريتها، وتبيان اعوجاجها، ورد كيدها إلى نحر أصحابها، خشية أن يغتر بها الأعمار والأحداث، أو يفتتن بها خفاف العقول وضعاف الإيمان، وقد أعانه على الرد المفحم والجواب المحكم امتلاكه لزمام البيان المشرق الرصين، واقتداره على النقد العلمي المتين.

ويذكر ابن قتيبة الباعث على تأليف هذا الكتاب في مقدمته فيقول:

" قد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله بأفهام كليله، وأبصار عليله، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما أعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب، لأري المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أفضي عليه بتأويل، ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير، إذ كنت لم أقتصر على وحي القوم حتى كشفته. وعلى إيمانهم حتى أوضحت، وزدت في الألفاظ ونقصت، وقدمت وأخرت، وضربت لذلك الأمثال والأشكال، حتى يستوي في فهمه السامعون" (٨٦)

ثم إن ابن قتيبة قد استعرض في كتابه الآيات التي أورد الطاعنون عليها إشكالاتهم في مواضعها من سورها من القرآن، غير مراعاة للترتيب المصحفي، بل إنه يذكر ما يريد الكلام عليه من الآيات التي ورد عليها الإشكالات، ثم ينتقل إلى غيرها، وقد يعود للسورة السابقة بعد انتقاله لغيرها إن احتاج المقام الداعي إلى ذلك.

٨٦- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، المقدمة ص ٠٤. ويُنظر: نظرة حول كتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، مقال لـ "عبد العظيم أنفلوس" عن موقع أهل التفسير، بتاريخ: ١٨/٣/١٤٣٨هـ

وهنا يرد سؤال هل يُعد كتاب ابن قتيبة كتاب تفسير خالص؟ أم أنه كتاب ورد في جانب من الجوانب ألا وهو الرد على افتراءات ومطاعن وشبهات في جانب معين ألا وهو جانب ما ظاهره الإشكال في القرآن، وابن قتيبة قد ذهب في سورة ويرجع إليها كذلك.

وهل يُقال بعد ذلك أنه كتاب تفسير محض؟ أم إن موضوعه كموضوع كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن الكتاب" للشنقيطي، والذي قد جمع فيه ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التي يُظنُّ بها التعارض في القرآن الكريم، مُرتبًا لها على حسب الترتيب المصحفي، لا النزولي، ولا أعلم أن أحدًا من أهل العلم ولا غيرهم من الباحثين منذ زمن العلامة الشنقيطي حتى وقتنا الحاضر يذكر أن له كتاب تفسير سوى كتابه الشهير المعروف "أضواء البيان".

وهناك أطروحة علمية "رسالة دكتوراه" بعنوان: ( المؤلفات في مشكل القرآن الكريم ومناهجها ) بالجامعة الإسلامية بالمدينة، وقد جمع الباحث<sup>(٨٧)</sup> فيها ما أُلِف في مشكل القرآن وقد أوصلها إلى ستة وتسعين مصنفًا، ما بين مخطوط ومفقود ومطبوع، أما المطبوع منها فيزيد على الخمسين مصنفًا، وأما المخطوط فقراية سبعة عشر مخطوطًا.

فهل أعد أهل العلم ما صُنِفَ في هذا الباب من بين الكتب الملحقه بكتب التفسير؟ أم ضمن مصنفات مشكل القرآن فحسب؟

وهل مصنفات مشكل القرآن تعالج ما تعالجه المصنفات في التفسير من الشمولية، أم أنها تعالج جانبًا واحدًا فحسب.

هذا ولقد اعتمد "دروزة" في تفسيره على الترتيب الوارد في مصحف "قدروغلي"، لأنه قد ذكر فيه أنه طبع تحت إشراف لجنة خاصة من ذوي العلم والوقوف حيث يتبادر إلى الذهن أن قد أشير إلى ترتيب النزول فيه (سورة كذا نزلت بعد سورة كذا) بعد اطلاع اللجنة على مختلف الروايات والترجيح بينهما.<sup>(٨٨)</sup>

ومصحف "قدروغلي" هو مصحف عثماني كبير كتبه الخطاط الشهير السيد مصطفى نظيف الشهير بـ "قدروغلي" والذي ولد عام: ( ١٢٦٢هـ ) في مدينة روس من أراضي بلغاريا، وهو في الأصل من القرم، وقد صحبه معه والده مصطفى أفندي إلى اسطنبول، فأدخل إلى

<sup>٨٧</sup>- والباحث هو: عبدالرحمن بن سند بن راشد الرحيلي، يُنظر: قاعدة المنظومة للرسائل الجامعية.

<sup>٨٨</sup>- محمد عزت دروزة، مقدمة التفسير: (ص: ١٢-١٣).

الإندرون<sup>(٨٩)</sup> فكتبه. وكانت كتابته في شهر رمضان من عام (١٣٠٩هـ)، وذلك في عهد السلطان عبدالحميد الثاني - رحمه الله -.

وكانت أول طبعة للمصحف الشريف طبعتها مطبعة الشمري الشهيرة - بالقاهرة -، هي طباعة تلك النسخة التي كُتبت بخط السيد مصطفى نظيف الشهير بـ "قدروغلي"، وكان قد خطها عام ١٨٩١م، وتم طباعتها في المطبعة العثمانية، ثم قامت مطبعة الشمري بإعادة طبعتها عام ١٩٤٤م.

وقد توفي "قدروغلي" - رحمه الله - عام ١٣١٣هـ، ودفن في مقابر يحيى أفندي في حي بشيكتاش باسطنبول.

### المطلب الثالث: بيان أهم وأبرز الدوافع التي ساقته "دروزة" لترتيب تفسيره ترتيباً نزولياً

"أما دوافع الأستاذ "محمد عزة دروزة" لاتباع هذا النمط من التفسير فقد بينه بقوله في مقدمة تفسيره في الطبعة الأولى:

".. فإننا بعد أن كتبنا الثلاثة وهي: عصر النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن، والدستور<sup>(٩٠)</sup> القرآني في شؤون الحياة، انبثقت فينا فكرة كتابة تفسير شامل، بقصد عرض القرآن بكامله بعد أن عرضناه فصلاً حسب موضوعاته في الكتب الثلاثة، نظهر فيها حكمة التنزيل ومبادئ القرآن، ومتناولاته عامة بأسلوب وترتيب حديثين، متجاوبين مع الرغبة الشديدة الملموسة عند كثير من شبابنا الذين يتذمرون من الأسلوب التقليدي ويعرضون عنه، مما أدى إلى انبثاق الصلة بينهم وبين كتاب دينهم المقدس، ويدعو إلى الأسف والقلق"، وعلق المؤلف على الكلام السابق في الطبعة الثانية بقوله: "ونزيد على ما قلناه في الطبعة الأولى فنقول: إن الحاجة إلى ذلك تشتد يوماً بعد يوم بنسبة ازدياد ما يتعرض له شبابنا وناشئتنا من تيارات جارفة عاصفة من الإلحاد والتحلل من مختلف القيم والروابط الأخلاقية والاجتماعية والتقليد الأعمى لكل

<sup>٨٩</sup> - الإندرون: "جهاز تربوي تعليمي" كان تابعاً للسراري العثماني. يُنظر: الخطاط الحاج محمد نظيف وأعماله: عن موقع: شبكة المبدعين للمحاضرات والكراسات والمعارض الخطية. بتصرف.

<sup>٩٠</sup> - والدستور وصف لا يليق بالقرآن.

تافه سخيّف محلّ بالدين والحلق والمروءة، والإقبال على قراءة المجلات والروايات الماجنة الخليعة التافهة.. ١هـ. (٩١).

**ويقول في موضع آخر مبرراً هذا المنهج:**

"... لأننا رأينا هذا يتسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته، إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنًا بعد زمن، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق، وبهذا وذلك يندمج القارئ في جو نزول القرآن، وجو ظروفه ومناسباته ومداه ومفهوماته، وتتجلى له حكمة التنزيل". (٩٢)

**"إذن يمكن تحديد دوافع "دروزة" بالنقاط التالية:**

- ١- بيان حكمة التنزيل ومبادئ القرآن ومتنولاته عامة بأسلوب وترتيب حديثين.
- ٢- التجاوب مع رغبة الشباب المتذمرين من الأسلوب التقليدي في التفسير.
- ٣- لانتشال الشباب والناشئة من التيارات الإلحادية المتحللة من القيم والأخلاق والتقليد الأعمى لكل تافه سخيّف محلّ بالدين والحلق والمروءة.
- ٤- في هذا المنهج تسهيل فهم القرآن.
- ٥- يمكن هذا المنهج من متابعة السيرة النبوية زمنًا بعد زمن.
- ٦- كما يمكن هذا المنهج من متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق". (٩٣)

**المطلب الرابع: مناقشة دوافع "دروزة":**

الحقيقة إن المتأمل في تلك الدوافع التي ذكرها الأستاذ "دروزة" -رحمه الله- يجد ما يلي

- ١- أنها غير مقنعة البتة، فلم يسق براهين ودوافع ذات معنى وثيق ولصيق بما ذهب إليه من هذا الخرق وشق عصا الجماعة بمخالفته لهذا الإجماع الذي تلقته الأمة بالقبول.
- ٢- أنه لا علاقة لتلك الدوافع من قريب أو بعيد أبدًا بما نَحججه من ترتيب كتابه على الترتيب النزولي

٩١- التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي. (د. ص)

٩٢- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر. (د. ص)

٩٣- التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان د. مصطفى مسلم. بحث عن موقع أهل التفسير،

بتاريخ: ١٥/١٢/١٤٣٢هـ

٣- أن تحقيق تلك الأهداف والبواعث لا تعارض بينها وبين الترتيب المصحفي الذي أجمعت الأمة على قبوله والعمل به، وسواء كان هذا الترتيب توقيفي أم اجتهادي.

٤- وهل الشباب المتدمر يحتاج لتغيير ما تلقته الأمة بالقبول والعمل، وهل هذا التغيير سيريح ويصلح الشباب، أم أنه يحتاج لتعليم وتوجيه وإصلاح وتربية؟!.

٥- كان عليه أن يبين ويبرهن كذلك علاقة هذا المنهج بتسهيل فهم القرآن. فقله تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) [القمر: ١٧] لا علاقة له بطريقة ترتيب القرآن. لأن معناه "فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه"؟. (٩٤)

٦- وهل التيارات الإلحادية والتقليد الأعمى إلخ... كل ذلك يُعالج بتغيير ترتيب سور القرآن على هذا النمط؟ أم يُعالج بالتوعية والتبصير والرد لمصادر التلقي وإبراز القدوات الصالحة التي يتأسى بها الشباب.

٧- معرفة أسباب وتاريخ النزول فيه غنية في معرفة أطوار التنزيل ومراحله وقل كذلك في ترتيب متابعة السيرة.

**وختامًا لهذه المناقشة:**

فإن الأستاذ "دروزة" لم يقدم براهين واضحات ولا حجج دامغات على ما ذهب إليه من تغيير الترتيب المصحفي والجرح إلى الترتيب النزولي.

**المطلب الخامس: طريقة "دروزة" في تفسيره**

وقد اتبع "دروزة" في تفسيره المنهج البياني والتحليلي، كما كان كثيرًا ما يتناول تفسير بعض الآيات بطريقة التفسير الموضوعي.

وقد رتبته ترتيبًا نزوليًا لا ترتيبًا مصحفيًا، وكان كتابه (القرآن المجيد) بمثابة مقدمة لتفسيره الموسوم بـ "التفسير الحديث".

**وكان من أبرز مباحثه واهتماماته ما يلي:**

- ١- فقد تكلم عن أساليب القرآن، كما تكلم عن أثره
- ٢- ولقد تناول في تفسيره كذلك جمع القرآن وتدوينه وقراءته ورسم المصحف وطريقة نظمه.

٩٤- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٣٣٧/٤). تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢٠١٤، ٢٠١٤م - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨.

- ٣- كما تناول الطريقة المثلى لتفسير القرآن، والسبيل المؤدي إلى فهمه
- ٤- كما اهتم بإلقاء بعض النظرات على جملة من المصنفات في التفسير، وتكلم عن الطرق والمناهج التي سلكها مؤلفوها.
- ٥- كما تناول كذلك بيان مناسبات القرآن وأسباب وتاريخ نزول الآيات.
- ٦- كما اعتنى بالتعريف بالسور قبل تعرضه لتفسيرها تعريفاً شمل جوانب عدة بينها ويجليها هو بقوله:
- "وقد رأينا بالإضافة الى هذا من المفيد وضع مقدمة أو تعريف موجز للسور قبل البدء بتفسيرها، يتضمن وصفها ومحتوياتها وأهم ما امتازت به، وما يتبادر من فحواها من صحة ترتيبها في النزول وفي المصحف، وما في السور المكية من آيات مدنية، وفي السور المدنية من آيات مكية حسب الروايات، والتعليق على ذلك حسب المقتضى". (٩٥)
- ٧- كان أحياناً ما ينتبه ويتيقظ للقصص الإسرائيلي والأخبار اليهودية ويحذر منها كذلك، ومن أبين ذلك تعقيبه على قصة هاروت وماروت حيث يقول:
- "ولقد أورد المفسرون القدماء روايات عديدة فيها العجيب الغريب، مختلفة في الصيغة والتفصيل، متفقة في الجوهر.. ولقد أورد ابن كثير رواية عجيبة مزورة الى أم المؤمنين عائشة.. ولقد ذكر القاسمي أن الرازي في تفسيره قرر بطلان الروايات من وجوه عديدة، وأن الإمام أبا مسلم احتج على بطلان نزول السحر عليها من وجوه عديدة أيضاً لم نر طائلاً وضرورة الى إيرادها" (٩٦)
- وكذا تعقيبه قصة سليمان عليه السلام حيث يقول:
- "...ونعتقد أن هذه القصة مما كان متداولاً في بيئة النبي وان مصدرها اليهود". (٩٧)
- لكن مع هذا كله فقد أكثر من الاستشهاد بمثيلاًتها من الإسرائيليات، ويكون بذلك قد جمع بين الضدين والنقيضين في آن واحد.
- ٨- كما كان أحياناً يتعرض لبعض الأحكام الفقهية عند وجود داع لذلك، مع استدلاله ونقله للأقوال والآثار، وبيان الحكم التشريعية وأسرارها.

٩٥- التفسير الحديث: (١/ ٨).

٩٦- المرجع السابق: (٧/ ٢١٧).

٩٧- المرجع السابق: (٢/ ٣٢٢).

٩- كما كان له نقولات كثيرة عن مصادر أئمة التفسير وسادات التحبير قد اعتمد عليها في تفسيره مثل تفسير شيخ المفسرين- ابن جرير الطبري-، وتفسير البغوي، وابن كثير، وتفسير الخازن، والكشاف للزمخشري المعتزلي، والقاسمي والنيسابوري والنسفي وغيرها.

١٠- كما اعتمد النقل عن كتب اللغة والتاريخ وعلوم القرآن والعزو إليها، ككتاب تاريخ العرب قبل الإسلام، وكتاب تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، والإتقان للسيوطي وغيرها من المصنفات.

١١- كما كان له موقف واضح يُحمد ويُشكر عليه ويحسب له ألا وهو نقده للشيعنة ومعارضتهم وتكذيبهم وبيان عوارهم.

أهم بواعث ودواعي ترتيبه لتفسيره ترتيباً نزولياً:  
يقول في ذلك:

"وقلّبتنا وجوه الرأي حول هذه الطريقة، وتساءلنا عما إذا كان فيها مساس بقضية المصحف المتداول، فانتهى بنا الرأي الى القرار عليها، لأن التفسير ليس مصحفاً للتلاوة من جهة، وهو عمل فني أو علمي من جهة ثانية، ولأن تفسير كل سورة يصح أن يكون عملاً مستقلاً بذاته لا صلة له بترتيب المصحف، وليس من شأنه أن يمس قدسية ترتيبه من جهة ثالثة) (٩٨) .  
وهذا الكلام له وجهاته إن كان تفسيراً لسورة واحدة فحسب، لأنه وكما قال يصح أن يكون عملاً مستقلاً بذاته، أم جمعه لتفسير القرآن كله بهذه الطريقة فقد خالف بذلك ما عليه عمل الأمة سلفاً وخلقاً.

٩٨- يُنظر: محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، دكتور فريد مصطفى سليمان . الرياض مكتبة الرشيد، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ٤٨٥ص، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ.



## المطلب السادس: تقييم تفسيره

" إن كل من يقرأ ما كتبه المفسر في مقدمة تفسيره وهو يلوم على المفسرين، ويبحث عن الثغرات في تفاسيرهم، حتى إنه لم يبرئ تفسيراً قديماً أو حديثاً من هذه الثغرات، أقول إن كل من يقرأ ذلك ترتسم في ذهنه ومخيلته صورته مشرقة عن التفسير الحديث. ولكن الحقيقة أن هذا التفسير-الذي أراد له صاحبه أن يكون جامعاً لمحاسن التفاسير، بريئاً في ثغراتها، حسبما رسم في خطته المثلى للتفسير- كان بدعاً من التفاسير- لا من حيث ترتيبه فحسب- ولا من حيث منهجه كذلك- ولا من حيث ما ورد فيه من أفكار وآراء، ولكن من حيث هذه الحثيات جميعاً.

لقد تكلم الأستاذ عن القصص القرآني، فكان التطبيق العملي الذي جاءنا به، كثرة الاستشهاد بالإسرائيليات، دون تمييز بين ما يخالف العقيد الإسلامية، وإجماع الأمة على عصمة الأنبياء عليهم السلام، وهو الذي كان يعيب على المفسرين أقل مما ذكره، وحينما تكلم عن الآيات الكونية جردها من حقائقها، وحصرها في نطاق وعظي فحسب، وكان حرياً به أن يفعل بالقصص مثل هذا.

أما في آيات الأحكام فقد رأينا الرجل ينزلق انزلاقات خطيرة لا من حيث التناقض والخطأ في بعض المسائل، وإنما من حيث الاضطراب والتشويش اللذان ينعكسان على القارئ. ولقد خلا التفسير بعد ذلك كله من الاصطلاحات العلمية الضرورية ومن مواطن الإشارة لبيان أسرار الإعجاز من عرض هدايات الآيات القرآنية عرضاً شيقاً اللهم إلا من بعض لفتات سجلناها له.

بهذا يكون التفسير على ما فيه من فوائد وعلى ما له من مزايا خلا من كثير من خصائص التفسير قديمها وحديثها.

إن التفسير الحديث من رأي له إيجابياته وسلبياته، ولكن لا يخلو من سلبيات، والرجل كان ذا حس مشكور في دفاعه عن الإسلام، وكان ذا ثقافة عامة، وتظهر في أثناء تفسيره غيرته على دينه، والعمل الإنساني معرض دائماً للخطأ، فرحم الله صاحب التفسير الحديث وأجزل له المثوبة وجزاه الله خيراً عما قدم". (٩٩)

٩٩- يُنظر: التفسير والمفسرون أساسه واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث (مرجع سابق). د فضل حسن عباس: (٣/٢٤٠-٢٤١)، دار النفائس-عمان-الأردن، ط ١، ١٤٣٧هـ. بتصرف يسير.

المطلب السابع: عقيدة " دروزة " في صفات الرب - جل في علاه

ومن الأهمية بمكان أن يُخْتَمَ الكلامُ هنا على عقيدة " دروزة " في صفات الرب - جل في علاه - في ضوء تفسيره.

ونسوق لذلك مثالين واضحين من تفسيره:

المثال الأول: تأويله لصفة اليد الثابت لله تعالى على الحقيقة على وجه يليق بذاته العلية تأويلاً واضحاً جلياً عند تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (الفتح: ١٠).

وفد عزا للزمخشري المعتزلي في الكشاف قوله:

ولقد كان تعبير (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) موضوع أقوال تتصل بعلم الكلام وصفة الله من حيث نسبة الجوارح إلى الله تعالى. (١٠٠)

ثم يقول - عفى الله عنه -:

ولسنا نرى التعبير والسياق يتحملان ذلك، فقد قصد به كما هو المتبادر شدة التوكيد على خطورة العهد والبيعة وكون الله شاهد عليها استهدافاً لقوة التلقين الذي أريد بثه في نفوس المسلمين. ثم عقب ذلك بنقل عدة تأويلات لصفة اليد عن بعض أهل التأويل من المفسرين، ثم قال بعدها مؤيداً لتلك التأويلات:

وفي هذه التأويلات سداد وتفيد أن الجملة حملت على المجاز.

ثم يختم كلامه هنا - عفى الله عنه - بتقرير عقيدته في صفات الرب - جل في علاه - قائلاً:

ولقد نبهنا في مناسبات سابقة على ما ينطوي من تعبيرات: يد الله، وجه الله، سمع الله، وما ينبغي أن يفهم من التقريرات القرآنية وسنة السلف الصالح، وقد عزا ذلك لتفسير سورة القصص. (١٠١)

١٠٠ - لم يقف الباحث على هذا القول عند الزمخشري المعتزلي كما عراه " دروزة".

وإنما وجد عند الزمخشري قوله: لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيداً على طريق التخييل فقال:

( يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين: هي يد الله، والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام، وإنما المعنى: تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما، كقوله تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (النساء: ٨٠). يُنظر: تفسير الزمخشري: (١٠/٥١٢).

وكلام الزمخشري المعتزلي كذلك كله تأويل باطل يتنافى مع معتقد أهل السنة في صفات الرب جل في علاه.

١٠١ - يُنظر: التفسير الحديث لـ " دروزة": (١/٥٩١).

يقول سماحة شيخنا الإمام ابن باز(ت: ١٤٢٠ هـ) -رحمه الله-:

هذه الآية عند أهل السنة والجماعة تدل على أمرين:

**الأمر الأول:** إثبات اليد لله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه موصوفٌ باليد، كما قال جلّ وعلا: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) (ص: ٧٥)، وقال سبحانه: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (المائدة: ٦٤)، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة ثابتٌ لله تعالى، صفة اليد لله ثابتةٌ عند أهل السنة والجماعة بالنصّ وبالإجماع.

**والأمر الثاني:** أنه سبحانه يقَرّ هذه البيعة ويرضاها، وأن يد رسوله - صلى الله عليه وسلم - قائمةٌ مقام يد الله سبحانه في إنفاذ هذه البيعة، (يد الله فوق أيديهم)، والمراد بهذا إثبات أن يد الرسول صلى الله عليه وسلم قائمةٌ مقام يد الله في إثبات هذه البيعة.

ففيه إثبات اليمين جميعاً: يد الله سبحانه التي هي قائمةٌ به سبحانه، وهو فوق العرش، فوق جميع الخلق، ويد الرسول التي بايعتهم بأمر الله وشرع الله ورضاه. (١٠٢)

**المثال الثاني:** تأويه لصفة مجيء الرب جل في علاه عند تفسيره لقوله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر: ٢٢)

قال دروزة - عفى الله عنه -:

"..... والمتبادر أن هذا مع وجوب الإيمان به وكونه في النص من قدرة الله ومع وجوب تنزيه الله عز وجل من مفهوم المجيء والروح والوقوف والجلوس وغير ذلك من أفعال الخلق وصفاتهم قد استهدف التأثير بالسامعين لأنهم بخطورة المشهد القضائي الأخروي العظيم، قد اعتادوا في الدنيا عقد مجالس قضائية لمحاكمة المجرمين وعقوباتهم. وقد يكون الشأن في هذا هو مثل وصف الجنة والنار بأوصاف اعتادها الناس في الدنيا للتقريب والتمثيل والتأثير في السامعين على ما شرحناه قبل.....". (١٠٣)

ولا شك أن هذا التأويل الواضح لصفات الرب جل في علاه يجلي عقيدته فيها، وأنه سلك مسلك أهل التأويل من الأشاعرة ومن نحى نحوهم، وقد خالف بذلك عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات صفات الرب جل وعز على الحقيقة على الوجه الذي يليق بذاته - سبحانه -، بلا تأويل

١٠٢ - يُنظر: مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: (٢٤ / ٢٧٣). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر عدد الأجزاء: ٣٠ جزءاً

١٠٣ - التفسير الحديث: (٥٤٥/١).

ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكيف ولا تمثيل، كما قال ربنا: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْبَصِيرُ } (الشورى: ١١)

#### المطلب الثامن: أبرز الدراسات حول هذا التفسير

- ١- جهود محمد عزة دروزة في تفسيره المسمى: (التفسير الحديث). لمحسن عبد الرحمن أحمد. القاهرة، كلية الآداب، جامعة عين الشمس، ١٩٨٤م، رسالة دكتوراه. (رسالة القرآن، العدد الثامن/٢٠٨).
- ٢- محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، دكتور فريد مصطفى سليمان. الرياض مكتبة الرشد، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ٤٨٥ص، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ.
- ٣- التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة. عبد الحكيم محمد أنيس. جامعة بغداد، العلوم الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٩٩٣م. (١٠٤).

١٠٤- يُنظر: المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الراهن /٥٤ وهو نفس اتجاهات التفسير في العصر الحديث ولكن قد تغير اسمه في طبعة جديدة منقحة للمؤلف، وأبي حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان /٣١٥. ويُنظر(الصفار، الجامع للرسائل، ص٢٧)

## المبحث الثالث: عرض ودراسة ومناقشة التفسير الثالث كتاب "معارج التفكير ودقائق التدبر" لـ " حبنكة الميداني" (١٤٢٥ ت: هـ) (١٠٥).

وفيه مطالب

**المطلب الأول: التعريف بالكتاب ومؤلفه وبيان أهم دوافع وبواعث تأليفه**  
وكتابه هو ثالث تلك المصنفات في التفسير التي سلك مصنفوها ونهجوا نهجًا خاصًا ليس عليه عمل السلف في ترتيب السور ترتيبًا نزوليًا لا ترتيبًا مصحفيًا. وقد صدر الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن دار القلم بدمشق في خمسة عشر مجلدًا كبارًا، وقد مات قبل أن يكمله -رحمه الله-..  
**التعريف بالمؤلف:**

ومؤلفه هو: الشيخ عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني -رحمه الله-

**التعريف بالكتاب:**

**الكتاب هو:** "معارج التفكير ودقائق التدبر" وبيان أهم دوافع وبواعث تأليفه هذا التفسير أقامه مؤلفه على ترتيب نزول القرآن الكريم،

**حيث يقول مبيّنًا سبب اختياره هذا المنهج:**

وقد رأيت بالتدبر الميداني للسور أن ما ذكره المختصون بعلوم القرآن الكريم من ترتيب النزول، هو في معظمه حق، أخذًا من تسلسل البناء المعرفي التكاملي، وتسلسل التكامل التربوي، واكتشفت في هذا التدبر أمورًا جلييلة تتعلق بحركة البناء المعرفي لأمر الدين، وحركة المعالجات التربوية الربانية للرسول صلى الله عليه وسلم، وللذين آمنوا به واتبعوه، وللذين لم يستجيبوا لدعوة الرسول مترددين، أو مكذابين كافرين.

١٠٥- وُلِدَ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن حَبْنَكَةَ الميداني الدَّمَشْقِي سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م)، في أحد أعرق أحياء دمشق، حيّ الميدان، لأسرة علمٍ ودعوة وجهاد؛ فأبوه العلامةُ المرَبِّيُّ المجاهدُ حاملُ لواءِ الدَّعوةِ في الشام، الإمامُ حسن حَبْنَكَةَ الميداني، عضوُ المجلس التأسيسيِّ لرابطة العالم الإسلاميِّ، وترجعُ أصولُ أسرة الشيخ إلى عَرَبِ بني خالد الذين تمتدُّ منازلهم إلى بادية حَمَاة من أرض الشام.

وفي ليلة الأربعاء ٢٥ من جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ قضى الله قضاءه الحقَّ بوفاة الشيخ عبد الرحمن حَبْنَكَةَ الميداني، عن ٨٠ سنة، في إثر مرضٍ ألمَّ به.

للاستزادة: يُنظر: العلامة المفكر عبدالرحمن حبنكة الميداني-أيمن بن أحمد ذو الغني-مقال عن موقع الألوكة- بتاريخ: ١٩/٣/٢٠١٤ هـ، ويُنظر "زوجي كما عرفته"-عائشة الجراح-دار القلم-دمشق.

وقد حاول المؤلف تطبيق ما ذكره في كتابه (قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم) في كتابه هذا،  
يقول رحمه الله:

وبعد فقد فتح الله عز وجل علي خلال تدبري الطويل لكتابه المجيد، باستخراج أربعين قاعدة من  
قواعد التدبر الأمثل لكتابه، قابلة للزيادة عليها، وهذه القواعد تقدم للمتدبرين أصول التفسير  
الأقوم للقرآن، ولم أجد في المفسرين من اهتم بالتزام مضمونها، ولا بالتزام كثير منها.  
وقد رأيت من الواجب علي أن أقدم ما أستطيع تقديمه من تدبر لسور هذا الكتاب العزيز المعجز،  
ملتزمًا على مقدار استطاعتي بمضمون القواعد التي فتح الله بها عليّ، مع الاعتراف بأن التزامها  
التزامًا دقيقًا وشاملاً عسيرٌ جدًّا، بل قد يكون بالنسبة إلى متدبر واحد متعذرًا. (١٠٦).

### المطلب الثاني: أضواء جانبية على عقيدة الـ "حبنكة"

يقول في كتابه "العقيدة الإسلامية وأسسها": (١٠٧)

"النوع الثاني . من الوحي . ما كان بواسطة إسماع الكلام الإلهي من غير أن يرى السامع من  
يكلّمه، كأن يخلق الله الأصوات في بعض الأجسام من حجر أو شجر، ومن هذا النوع ما كان  
لموسى عليه السلام حين مناجاته ربه في جانب الطور، وهذا النوع الثاني هو ما أشار إليه الله بقوله  
في الآية: { أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } (الشورى من آية: ٥١) أي: وحيًا من وراء حجاب بواسطة  
خلق الله الأصوات كما ذكرنا أو بصورة أخرى يختارها الله عز وجل".

قلت: ومناجاة موسى ربه من جانب الطور هو ما جاء في قوله تعالى:

(فلما أتاه نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله  
رب العالمين) [ القصص ٣٠ ] ومعنى هذا عند حبنكة الأشعري أن الشجرة التي خلق فيها الصوت  
وهو القرآن، قالت لموسى: إني أنا الله رب العالمين!. (١٠٨)

بل أين "الحبنكة"؟ من قوله سبحانه: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (النساء: ١٦٤)، ومن قوله جل  
وعلا: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) (الأعراف من آية: ١٤٣)

١٠٦- يُنظر: التعريف بكتاب "معارج التفكير ودقائق التدبر" لـ مجدي مكّي-دار القلم- دمشق- ط١-١٤٢٧هـ،  
ويُنظر: المقدمة العامة لكتاب معارج التفكير ودقائق التدبر: (١ / ٥-٦).

١٠٧- يُنظر كتابه: العقيدة الإسلامية وأسسها: (٢٤٩/٢) الطبعة الأولى (١٣٨٥ هـ)، ويُنظر نفس الكتاب تحت  
عنوان "النصوص المتشابهة في صفات الله تعالى" ص ٢٤٦ .

١٠٨- من كتاب: الرد القويم البالغ على الخليلي الإباضي: (٢٨٣/١).

ولقد تأمل الباحث في بعض ما كتب الحنبكة رحمه الله فلم يجده واضح من جهة المنهج العقدي في انتصاره بوضوح وجلاء لاعتقاد السلف، ومما يؤيد ما ذكره الباحث هنا ما أجاب به أحد الأعلام المعاصرين والذين لهم عناية كبرى بمنهج السلف وإبراز عقيدة أهل السنة والجماعة والدعوة إليها وعلى منهجها ألا وهو الشيخ صالح آل الشيخ، فقد سئل عن كتاب (أسس العقيدة الإسلامية) لـ " حنبكة" فأجاب حفظه الله تعالى:

"ما تحتاج لكتب المعاصرين الآن, طالب علم تقرأ كتب السلف, كتب المعاصرين -الذين لا يبيّنون عقيدة أهل السنة قصدًا ويوضّحونها- ما تحتاجها في العقيدة، خاصة العقيدة، إياك، -يعني- حتى تضبط عقائد السلف بتفصيلاتها، ثم بعد ذلك يمكن أن تقرأ في بعض الكتب في ذلك، هذا الكتاب من جنس كتب الشيخ عبد الرحمن حنبكة الميداني، هو عنده ميل إلى الأشعرية أو التصريح بها في مواضع، وله كتاب اسمه: (ضوابط المعرفة) كتاب فلسفي يعني المعرفة عند الفلاسفة". (١٠٩) انتهى

**المطلب الثالث: منهج الـ "حنبكة" في كتابه، ورأيه في ترتيب السور، وما كان لزماً عليه اتباعه**

**أ- منهجه في كتابه:**

كان من أبرز معالم منهجه في كتابه ما يلي:

لقد نهج الشيخ "حنبكة" في تفسيره التدبري نهجاً نجمله باختصار فيما يلي:

أولاً: لقد ذكر في مستهل كتابه أحكاماً تدبرية تتعلق بالاستعاذة والبسملة.

ثانياً: يذكر المكي والمدني من السورة ثم يبين الأقوال الواردة فيها، ثم يرجح بينها ويبين ما ذهب إليه واختاره.

ثالثاً: يذكر السورة بطولها كاملة ثم يعرج على ذكر أوجه القراءات الواردة فيها.

رابعاً: يذكر السورة وما ورد فيها من فضائل ولا سيما فيما يتعلق بموضوع بحثه مستدلاً بنصوص السنة وآثار السلف في ذلك.

خامساً: سلك طريقة موضوعية في تقسيم السورة، ثم قام بدراستها دراسة موضوعية تحليلية، ثم أعقب ذلك بنظرة إجمالية على كل ما حوته السورة من موضوعات.

١٠٩- شرح العقيدة الواسطية (١ / ٢٥٩).

سادساً: يتعرض للأحكام الفقهية وبعض المسائل البلاغية أحياناً ولا سيما عند وجود داع لذكرها.

### ب- رأيه - رحمه الله - في ترتيب السور

قد مر معنا قول الشيخ "حويش"، والأستاذ "دروزة" في ترتيب السور وأنه عندهما توقيفي. أما الشيخ "حبنكة"

فقدم على تفسير القرآن حسب ترتيب النزول، وهذا أمر جليل ليس له فيه إمام، إلا ما كان من صاحبيه الشيخ "حويش"، والأستاذ "دروزة" كما علمنا، ومع ذلك فقد قَدِّمًا حججًا ومبررات على ما قَدِّمًا عليه من عمل وإن كانت كلها هاوية غير مقنعة، وقد مر معنا مناقشة ما قداماه من مبررات وتفنيده.

أما الشيخ "حبنكة": فإنه يرى أن ترتيب السور أمر اجتهادي خلافاً لـ "صاحبيه" "حويش"، و"دروزة"، ولم يقدم حججاً ولا براهين كصاحبيه،

### ج- ما كان لزاماً عليه اتباعه

لذا كان لزاماً عليه أموراً من أهمها ما يلي:

أولاً: عرض أقوال القائلين بتوقيف ترتيب السور وبيان حججهم وأدلتهم

ثانياً: مناقشة أقوال وأدلة القائلين بالتوقيف، وبيان أدلة ما ذهب إليه وترجح لديه

ثالثاً: نقل إجماع الصحابة واستقرار رأيهم على المصحف الإمام وقبولهم وإدعائهم له.

رابعاً: نقل إجماع الأمة على قبول الترتيب التوقيفي للسور الذي استقر عليه المصحف الإمام ولا يزال العمل عليه من زمن الجمع العثماني إلى وقتنا هذا.

لكنه لم يفعل هذا رحمه الله.

المطلب الرابع: حصر دوافع الـ "حبنكة" في انتهاج هذه الطريقة

وفي ضوء كلامه في صدر كتابه فإنه يمكن تحديد أهم دوافعه لانتهاج هذه الطريقة فيما يلي:

١- إن تدبره الطويل لكتاب الله، واستنباطه للقواعد التي ذكرها في كتابه

(قواعد التدبير الأمثل) كان من جملة ما دعاه إلى اتباع هذا المنهج.

٢- إن هذا المنهج يحقق تسلسل البناء المعرفي التكاملي.

٣- إن هذا المنهج يحقق تسلسل التكامل التربوي.

٤- كشف هذا المنهج عن أمور جلييلة تتعلق بحركة البناء المعرفي لأمر الدين وحركة المعالجات



التربوية الربانية الشاملة للرسول صلى الله عليه وسلم.  
٥- الاستشراف إلى حكمة التدرج، ومعرفة الغاية من التكرير". (١١٠).

**المطلب الخامس: مناقشة دوافع ومبررات الـ "حبنكة"  
وهل تحققت بهذا العمل الخارج عما درج عليه السلف والخلف من المفسرين الأهداف  
والمقاصد والمرامي المرجوة والمأمولة فيه؟**

**أولاً:** هل الترتيب المصحفي يمنع من التدبر حتى ننتقل إلى الترتيب النزولي؟  
ثانياً: ثم تلك الألفاظ الرنانة والمصطلحات الحادثة التي لم يدرج عليها أئمة السلف ولم يستخدموها  
في التفسير هي أقرب لكتب السلوك والتربية منها لكلام أئمة التفسير، وذلك مثل "تسلسل البناء  
المعرفي التكاملي"، "التكامل التربوي"، "والبناء المعرفي"، وأضربها من تلك الألفاظ التي برز الشيخ  
بها مبرراته.

**ثالثاً:** ثم تبرير ذلك بحجة "الاستشراف إلى حكمة التدرج" وهل هذه الحكمة كانت محتفية في  
الترتيب المصحفي حتى يبرزها الترتيب التنزلي؟.

**والدكتور محمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٨هـ) - رحمه الله - يضرب لذلك مثلاً محسوساً في  
كتابه: "حصاد قلم" فيقول واصفاً ذلك بمن قام:**

" بجلب سلعاً لبناء بيتاً لا يبالي بأن يشتري أجزاء العرش والسقف قبل الأسس والجدران، متتبعاً في  
ذلك فرصة توفر الثمن وتوفر تلك السلعة في السوق، ثم بنا بيته، أكان ذلك محلاً بهندسة ذلك  
البيت، وبالقياسات التي وضعها المهندس؟؟ كذلك كان القرآن الكريم ينزل بحسب الوقائع، ثم رتب  
حسب ذلك (الترتيب) (١١١) الذي أراد الله تعالى له فكان منسجماً متكاملًا آخذاً بعين الاعتبار  
التدرج في التعليم والفهم، والانتقال من جو إلى جو تدريجياً إما تصاعدياً أو تنازلياً، حسبما  
تقتضيه الضرورة...". (١١٢)

١١٠- يُنظر: التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان د. مصطفى مسلم. مقال عن موقع أهل التفسير،  
بتاريخ: ١٥/١٢/١٤٣٢هـ.

وهذا الدافع الأخير أخذته من شرح الشيخ للقاعدة التاسعة في كتاب قواعد التدبر الأمثل ص ١٥٣. (د. مصطفى  
مسلم).

١١١- هي في الأصل عند د. دراز "التصميم" فعدلها الباحث إلا المعنى المناسب ألا وهو: "الترتيب".

١١٢- الدكتور/ محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، تحقيق، أحمد مصطفى فضيلة، تقديم الدكتور/ عبد الستار فتح  
الله سعيد، دار القلم، ٢٠٠٠م، القاهرة: ص: ٤٥ وما بعدها

ومما لاشك فيه أبداً أن الترتيب المصحفي هو ما استقرت عليه العرصة الأخيرة الموافقة لما هو مثبت في اللوح المحفوظ عند رب العزة في كتاب مكنون وقد مر بنا ذكر ذلك الأمر تكررًا ومرارًا، والقرآن أنزل جملة على هذا الوضع وتلك الحالة التي استقر عليها إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نُحْمَم بعد ذلك حسب الأحداث والوقائع.

وهذا الذي يعنيه الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه- النبأ العظيم- بقول:

"لكن كان جمع عن تفريق، فقد فرّق عن جمع". (١١٣)

ثم إن علماء المناسبات استخرجوا للأمة دررًا من المناسبات بين الآيات والسورة مع إن الكثير منها تنزل منجم الآيات ولم يتنزل دفعة واحدة، بل إن السورة الواحدة قد تنزل آيات منها متقدمة وتكون في أواسط السورة أو في أواخرها وخواتيمها، وقد ينزل صدر السور متأخرًا عن خاتمها والعكس من ذلك كذلك، وأنت تجد ذلك متحققًا في أطول سور القرآن ألا وهي سور البقرة وهي من أوائل القرآن المدني نزولًا، أليس كذلك؟، فهل نزلة جملة أم نجومًا نجومًا؟

الجواب يأتي في جواب أئمة التفسير عن آخر ما نزل من القرآن، فإن أكثرهم على أن آخر آية نزولًا هي قوله تعالى: ( وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) (البقرة: ٢٨١)

وهو مروى عن جمع من السلف، منهم: ابن عَبَّاسٍ، أَبِي سَعِيدٍ الخدرِيِّ، عِكْرِمَةَ، سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، كما أنه اختيار جمع من المتأخرين كذلك.

وفي ذلك يقول الحافظ (ت: ٨٥٢هـ) في الفتح- رحمه الله- :

أصحُّ الأقوالِ فِي آخِرِيَةِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ( وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ) (البقرة من آية: ٢٨١). (١١٤)

ومع ذلك كله ترى الترابط النصي والوحدة الموضوعية وأغراض السورة مترابط متناسقة وكأنها سبيكة واحدة ترابطًا ومعنى، وبلاغة وإعجازًا ولا تشعر أبدًا حين تأملك لها وتدبرك في آياتها أنها نزلت منجمة، وقد يكون بين ذلك التنجيم أزمانًا متباعدة.

١١٣- يُنظر: النبأ العظيم: (ص: ١٥٤).

١١٤- فتح الباري: (٨/ ٣١٧).

المطلب السادس: هل تحققت الأهداف التي رامها مُفْتَتِحُو تغيير الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي

وأخيراً فهل تحققت الأهداف التي رامها مُفْتَتِحُو هذا الباب

أولاً: لم تتحقق تلك الأهداف كما مر معنا، وكيف تتحقق في أمر عظيم جليل أجمع عليه جماهير العلماء سلفاً وخلفاً وقد خرقوا هذا الإجماع.

ثانياً: كيف تتحقق تلك الأهداف ولم تقترن بأي مبررات مقنعة أو أي معالم ظاهرة أو حجج دامغة وبراهين ساطعة وأجوبة مسكتة.

وإنما الذي تحقق من الأهداف هو ما أراده مؤسسو ومرجو هذا الفكرة أولاً من المستشرقين، بل إن أحدهم قد تراجع عن هذا العمل ألا وهو المستشرق الفرنسي ريجي بلاشير: (ت: ١٣٩٣هـ) كما مر معنا في مقدمة البحث، - نعم - تراجع عن ترتيب ترجمته للقرآن بحسب ترتيب النزول لما رأى خطأه، فأعاد ترتيب تلك الترجمة بحسب الترتيب المصحفي، هذا مع سوء نيته وخبت طويته.

فهل كان للثلاثة نفر الذين خرقوا هذا الخرق أن يتراجعوا عن فعلهم كما تراجع عن مثله ذلك المستشرق، ويؤوبوا إلى ما أجمع عليه أسلافهم الصالحون، لأنهم بذلك قد أفسدوا نظم القرآن، وذلك لأن "من قدم سورة أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن".<sup>(١١٥)</sup>، ولَمَّا أنهم كانوا قد قضوا نحبهم وقضوا آجالهم فحق لأهل الحل والعقد من الجهات المعنية في الأمة أن يبرموا في ذلك أمر رشيداً وأن يعملوا على رأب صدعهم بعد أن أفضوا إلى رهم ويقوموا بما أوجب الله عليهم تجاه كتاب رهم، ولقد عناهم الله بقوله: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران: ١٨٧).

قال ابن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) - رحمه الله - في تفسيره:

"الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتهم ذلك، ويخجل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل".<sup>(١١٦)</sup>

١١٥- الإيتقان: السيوطي ج ١ ص ٦٢. وعزاه لابن الأنباري.

١١٦- تفسير ابن سعدي: (١/١٦١).

فلزمهم أن يقوموا بواجبهم تجاه كتاب ربهم ويردوا تلك المصنفات إلى ما أجمعت عليه الأمة وسارت عليه تلك القرون الطوال، كما يُرد المتشابه إلى المحكم، فإن من خصائص أهل الحق رد المتشابه إلى المحكم، كما إن من خصائص أهل الباطل اتباع المتشابه ورد المحكم.

### طوام كبرى نخشاها:

هذا ونخشى أن يأتي على الأمة زمان يأتي فيه من يُنادي بإعادة ترتيب آيات القرآن ترتيبًا نزوليًا كما نادى المستشرقون بترتيب السور ترتيبًا نزوليًا كذلك، وهم يريدون بذلك الطعن في القرآن ليفقد بذلك أعظم دلائل بقاءه وحفظه، من مصداقيته، وتحقق أوجه إعجازه، وجزالة لفظه، ودقة نظمه، ولكن كما قال الله تعالى: (وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة من آية: ٣٢)، فقد تولى الله تعالى حفظ كتابه بذاته العلية فقال سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)، ونخشى أن يتبعهم على ذلك من أعمى الله بصائرهم عن لزوم الحق والتمسك به ممن لا خلاق لهم ولا حظ ولا نصيب من علم ولا ورع ولا تقوى من بني جلدتنا، والله تعالى وحده من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين.

### المطلب السابع: بيان وجوب احترام الترتيب المصحفي وعدم التعرض له، والتصدي لمن تعرض له

والخلاصة فإن الأمر قد انتهى إلى أنه يجب احترام هذا الترتيب.

"وسواء أكان ترتيب سور القرآن اجتهاديًا (من الصحابة) أو توقيفيًا (من عند الله) فإنه يجب احترامه خصوصًا في كتابة المصاحف لأنه عن إجماع الصحابة والإجماع حجة. ولأن خلافه يجر إلى الفتنة ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب." (١١٧)

وبعد الانتهاء من عرض تلك الكتب الثلاثة التي خالف مؤلفوها جماهير السلف والخلف في لزوم الترتيب المصحفي، والجنوح عنه إلى الترتيب النزولي ومناقشتها والحكم عليها ناسب هنا عند الختام الاستزادة من أقوال وأدلة القائلين بالقول بأن ترتيب السور توقيفي والحكم عليها، وقد تبين لنا أمورًا ذكرنا جملة منها في بداية البحث، وننتقل هنا إلى ذكر جملة أخرى هامة من تلك الأمور فنختم بها لتكون مسكًا للختام، وذلك فيما يلي:

أولًا: إن كان في ترتيب آيات القرآن فيه من الإعجاز ما فيه، فإن ترتيب السور قد استخرج منه العلماء دررًا في علم المناسبات بين السور كذلك. فهو لا يقل شأنًا عن ترتيب آياته.

١١٧- الزرقاني: مناهل العرفان: (٣٤٤/١).

قال محمد بن سيرين (ت: ١١٠هـ) لعكرمة (ت: ١٠٧هـ) أيام الجمع الأول للقرآن:  
"ألفوه كما أنزل الأول فالأول، فقال عكرمة: لو اجتمع الإنس والجن على أن يألفوه ذلك التأليف  
ما استطاعوا". (١١٨)

ثانياً: الأولى في تلاوة القرآن مراعاة الترتيب المصحفي سواء كان ذلك في الصلاة أم خارجاً عنها  
لأنه الأصل، وإن حاد عنه أحياناً جاز له ذلك ولكن ترك الأفضل والأولى والأحسن والأكمل  
والأتم، وذلك لأن ترتيب التلاوة أمر مندوب وليس بواجب بدليل فعله عليه الصلاة والسلام ذلك  
في صلاته في بعض الأحيان.

ويلحق البعض بذلك تعليم الصغار من بداية قصار المفصل لوجود المشقة والعنت في حفظ السور  
الطوال بداية بل ولا متناعه عليهم أيضاً، وقد جرى على ذلك عمل الكثير من الأوليين في تعليم  
الصغار، وقد يلحق بهم كذلك تعليم الأعاجم الذين لا يحسنون العربية، وكذلك من أسلم وكان  
حديث عهد بكفر، لوجود العنت والمشقة في البدء بتلاوة وحفظ السور الطوال، وكذلك كبار  
السن ومن لديه تعثر وثقل في اللسان، وكل من يلحقه عنت ومشقة في الحفظ وتعلم التلاوة من  
بداية السور الطوال، وذلك لاشتراكهم جميعاً مع الصغار في العلة والسبب على حد سواء، ووجه  
الجواز في ذلك قراءة النبي - ﷺ - أحياناً على غير الترتيب المصحفي مما يدل على عدم وجوب  
ذلك تلاوة من جهة، كما يدل على جوازه عند الحاجة التي يتعثر معها الحفظ كالتي ذكرنا وما في  
نحوها كذلك من جهة ثانية، ولأن تلاوة كل فرد غير مثبتة في مصحف خاص لديه، بل إن كل  
منهم يتلو ويحفظ من مصحف واحد في ترتيبه المصحفي الذي أجمعت عليه الأمة سلفاً وخلفاً  
وجرى قبوله إجماعاً والعمل عليه ماض في الأمة عبر كل أجيالها، فتغير الترتيب المصحفي سالم  
ومأمون. والله أعلم .

ومما يدل على ذلك ما ثبت عند مسلم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ  
مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ذات لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي  
رُكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً  
إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ  
رَكَعَ..... الحديث. (١١٩)

١١٨- السيوطي، الإتقان: (ص: ١٥٥).

١١٩- رواه مسلم: (١١٧٦/١٧).

وفي نحو ذلك يقول النووي(ت: ٦٧٦هـ) - رحمه الله- في التبيان:

"قال العلماء رحمهم الله: الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة، ثم البقرة ثم آل عمران، ثم النساء إلى أن يحتتم بـ ( قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ) سواء قرأ في الصلاة أم خارجًا عنها، ويستحب أيضًا إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها السورة التي تليها، ولو قرأ في الركعة الأولى: ( قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ) يقرأ في الثانية من البقرة

ودليل هذا: أن ترتيب المصحف لحكمة، فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد الشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة، يقرأ في الركعة الأولى: ( ألم تَنْزِيلِ ) وفي الثانية: ( هَلْ أُنثِيَ ) وصلاة العيدين (قاف) و (اقتربت).

ولو خالف الترتيب فقرأ سورة ثم قرأ التي قبلها، أو خالف المواولة فقرأ قبلها ما لا يليها جاز وكان تاركًا للأفضل، وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فمتفقٌ على منعه وذمّه؛ فإنه يُذهب بعض أنواع الإعجاز، ويزيل حكمة الترتيب ". (١٢٠)

وكما كان يقرأ في الجمعة أحيانًا بـ الجمعة في "الأولى" والغاشية في "الثانية".

ثالثًا: بما أن الترتيب المصحفي قد أجمعت الأمة عليه سلفًا وخلقًا وجرى العمل عليه فلا يحق لأحد كائنًا ما كان خرق الإجماع الذي هو حجة في ذاته والحيد عنه إلى غيره من أنواع الترتيب، نزوليًا كان أو موضوعيًا أو تاريخيًا أو غير ذلك مما لم يجر عليه عمل من جموع القرآن في عهوده الثلاثة، ولم يجر عليه عمل أي أحد ممن اتبعوهم بإحسان، وسواء كان الترتيب المصحفي هذا ترتيبًا توقيفيًا، أم كان ترتيبًا اجتهاديًا، وذلك صيانة وحفظًا لكتاب الله تعالى من التبديل والتغيير والتحريف، ولما يترتب على ذلك من مفساد وطوام لا تحمد عقباها، وكذلك لما قد يفتح باب التجرؤ على العبث في كتاب الله تعالى الذي(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤٢).

من هنا كان واجب التصدي لمثل هذا العمل وإبرازه للعباد بين الفينة والفينة انتصارًا لكتاب الله تعالى وردًا لمطاعن الطاعنين والمشككين في كتاب رب العالمين من سائر أعداء الملة والدين من الذين لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار ولا يتوقفون عن الطعن في كتاب الله تعالى ويعملون ويسعون في ذلك ليل نهار عبر الزمان والمكان، ورد سهامهم في نحورهم لينقلبوا إلى أهلهم خاسرين ويندحروا خاسئين ويرجعوا إلى جحورهم ذليلين وينقلبوا صاغرين.

١٢٠- يُنظر: التحبير في علم التفسير: للسيوطي: (ص: ٦٣٧).

نعم يقومون بذلك نصحاء لله تعالى ولكتابه كما قام الصديق الأول رضي الله عنه يوم الردة، وكما قام الإمام المبجل أحمد بن حنبل الشيباني إمام أهل السنة لكتاب الله يوم المحنة. فكان التصدي لهؤلاء وأمثالهم وأذناهم جميعاً من أوجب الواجبات المتحتمات على المعين بهذا الشأن العظيم من المرابطين على ثغور الإسلام وحماته ومن الغيور على دينهم وكتاب ربهم ومن يحبون أن يشملهم وصف ربهم لهم (والذين اتبعوهم بإحسان) فيتحقق لهم وعده برضاه عنهم (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) في قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠).

وذلك كله سعيًا في تحقيق وعد ربهم الذي لا يتخلف ولا يتأخر ولا يتبدل ولا يتغير أبدًا الذي قال سبحانه فيه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ١٠٩) وختامًا لهذا المبحث نسوق لطيفة للألباني (ت: ١٤٢٠هـ) - محدث العصر - رحمه الله:-  
وقد وُجِهَ إليه هذا السؤال:

ما الغاية من جمع القرآن ووضعه في المصحف وهل ترتيب السور في المصحف توقيفي أو اجتهادي؟

فكان مما أجاب عنه بعد كلام طويل - رحمه الله -: ما يلي:

"... ما أدري ، لا أدري، هنا المسألة يقال فيها مسألة تعبدية لأن ترتيب القرآن ليس على حسب التاريخ، التاريخ النزولي الذي تشير إليه، هذه مسألة اختلف فيها العلماء هل هي توقيفية أم اجتهادية بعكس لما تنظم آية فتوضع في سورة، فهذا توقيفي يقينًا، أما ترتيب السور تقديمها وتأخيرها فمثلًا اقرأ باسم ربك المفروض حسب السؤال المطروح أنفاً أنها توضع في أول ما نزل فهي قد وضعت في آخر ما نزل، اختلفوا في هذا الترتيب للسور وليس في ترتيب الآيات في السور، ترتيب الآيات في السور توقيفي بدون أي تردد، أما ترتيب السور كما هو الآن في المصحف اختلفوا فمنهم من يقول هذا توقيفي أيضًا من الرسول عليه السلام ومنهم من يقول لا هذا باجتهاد من بعده، أما أنا شخصيًا ليس عندي رأي قاطع في الموضوع ولكن أقول إذا كان الراجح أنه توقيفي فهنا يأتي جواب السؤال السابق الله أعلم، وإذا كان هو باجتهاد ممن جمعوا

القرآن بعد الرسول عليه السلام وصنفوه من بعده على هذا التصنيف فأنا ما عرفت ما هي الحكمة، ولذلك فأكل العلم إلى عالمه". (١٢١)

فلنتأمل كيف بعلم من الأعلام وسيد من سادات الأنام يقول مثل هذا الكلام، (ما أدري ، لا أدري،.... فأنا ما عرفت ما هي الحكمة،.....ولذلك فأكل العلم إلى عالمه)  
فرحم الله الألباني ذاك العالم الرباني.

وقد طال بنا البحث والتطواف فيما مضى ذكره لعظم الخطب.  
والله سبحانه وحده من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة.

#### أ- خاتمة البحث

في خاتمة هذه الدراسة الهامة للغاية يحمد الباحث ربه الكريم المنام ذا الطول والفضل والإنعام على ما امتن به - سبحانه - على عبده الفقير الضعيف من إتمام بحث على وجه يرجو به الإعذار إلى الله وبلوغ الحجة ووضوح المحجة لكل منصف يرجو اتباع الحق وسلوك سبيل المؤمنين في اتباع ما أجمع علي السلف والخلف من اتباع الترتيب المصحفي الذي نزل به القرآن واستقرت عليه صحف عثمان وتلقته الأمة بالقبول، وما يزال عليه العمل منذ جمّع عثمان - رضي الله عنه - الأمة على الإمام إلى وقتنا الحاضر.

#### ب- بيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة

لقد توصلت تلك الدراسة المتواضعة لنتائج هامة ولعل من أبرزها ما يلي:

- ١- إذا كان ترتيب الآيات في السور توقيفي، فإن ترتيب سور القرآن الكريم توقيفي - كذلك -.
- ٢- أن الترتيب المصحفي عليه عمل الأمة منذ أن جمّع عثمان - رضي الله عنه - الأمة على الإمام، وقد أجمع عليه الصحابة - رضي الله عنهم، وتلقته الأمة بالقبول، وعليه العمل إلى وقتنا الحاضر.

- ٣- أن المستشرقين هم أول من خالف وعارض الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي وطالبوا بإعادة ترتيب القرآن ترتيباً نزولياً، وقد تأثر بهم بعض المعاصرين

١٢١- سلسلة الهدى والنور: (٢٥٧). بتصرف يسير جداً في الألفاظ لأنها وردت مسجلة، فعدلت ألفاظ يسيرة جداً ليستقيم المعنى كتابة.



٤- أن أول من استجاب لأمر المستشرقين واتبع سبيلهم وخالف سبيل المؤمنين في العمل بالترتيب المصحفي الذي عليه عمل الأمة سلفًا وخلقًا الثلاثة نفر الذين تدارسنا معًا وناقشنا عملهم في مخالفة الترتيب المصحفي والجنوح إلى الترتيب النزولي الذي نادى به أعداء الملة- المستشرقين- وقد أرادوا بذلك إفساد نظم القرآن، ولكن أنى لهم ذلك.

٥- أن الثلاثة نفر - أصحاب التفاسير الثلاثة- تحججوا بحجج واهية، هي أوهي وأوهن من بيت العنكبوت، وقد تبين معنا في طيات البحث رد تلك الحجج الواهية بواضح البراهين وساطع الأدلة بالحجج العقلية والنقلية.

٦- أن الأهداف التي رامها مُفْتَتِحُو تغيير الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي لم يتحقق منها أي شيء البتة. وفي ذلك دلالة قطعية على بطلان ما راموه وقصدوه.

٧- أنه قد ثبت بالدليل القطعي وبالحجج والبراهين العقلية والنقلية أن الترتيب المصحفي عليه عمل الأمة وإجماع السلف والخلف، فكيف وقد ثبت أنه توقيفي، لذا فقد وجب احترامه وعدم التعرض له، والتصدي لمن تعرض له

٨- يجب على الجهات المعنية في الأمة التحذير من مثل هذه الجرأة على كتاب الله تعالى ومنع أي أعمال مماثلة لما أقدم عليه أصحاب التفاسير الثلاثة، كما يجب عليها إعادة ترتيب تلك التفاسير حسب الترتيب المصحفي، كما يجب ذلك وجوبًا حتميًا على ورثة أصحاب تلك التفاسير، وذلك كله حسب القدرة والطاقة

٩- إن الفتاوى التي أفتى بها بعض المنتسبين للعلم أصحاب تلك التفاسير لم توافق الحق الذي عليه سبيل المؤمنين، وعليه عمل الأولين والآخرين من خيار هذه الأمة، فلا يعتد بها ولا يعمل بمقتضاها لمخافتها للحق الذي عليه إجماع سلف وخلف الأمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وفق الله جامعه للانتهاء من تبيضه في فجر يوم الأربعاء الموافق ١٧/١/١٤٤٣ هـ

بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

أملاه

العبد الضعيف الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيٍّ

الرياض في: ١٧/١/١٤٤٣ هـ

البريد: arafatantawy@hotmail.com - واتساب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٧٢٢١٥٣

## مجموع الفهارس:

### أ- فهرس المراجع

- ١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم - دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٢- أسرار ترتيب القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع عدد الأجزاء: ١ .
- ٣- إعجاز القرآن للباقلاني المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ١ .
- ٤- البرهان في علوم القرآن- لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم - الطبعة الأولى- دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- ٥- البرهان في تناسب سور القرآن المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب عام النشر: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م عدد الأجزاء: ١
- ٦- البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م عدد الأجزاء: ١٥ .
- ٧- تفسير ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - هـ.
- ٨- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨ .
- ٩- تفسير بيان المعاني (وهو تفسير كتاب الله الحكيم حسب النزول) ويعد الأول من نوعه حتى تاريخه، الناشر: مطبعة الترقى، مكان الطبع: دمشق، سنة الطبع: ١٣٨٢ق، عدد الأجزاء: ٦
- ١٠- التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول) المؤلف: دروزة محمد عزت الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: ١٣٨٣هـ، رقم الطبعة: ٢، عدد المجلدات: ١٠ .

- ١١- التفسير والمفسرون أساسه واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث. د فضل حسن عباس ، دار النفائس-عمان-الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ.
- ١٢- التفسير الوسيط ، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، طبعة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) عدد المجلدات: ١٠
- ١٣- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- ١٤- جمال القراء وكمال الإقراء المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ) دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي (أصل الكتاب رسالة دكتوراه بإشراف د محمد سالم المحيسن) الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد) الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٥- الدكتور/ محمد عبد الله دراز: حصاد قلم، تحقيق، أحمد مصطفى فضيلة، تقديم الدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد، دار القلم، ٢٠٠٠م، القاهرة.
- ١٦- شرح السنة ، الإمام البغوي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، ط ثانية، ١٩٨٣م، المكتب الإسلامي.
- ١٧- فتح البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م عدد الأجزاء: ١٥ .
- ١٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣ .
- ١٩- كتاب المصاحف المؤلف: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ) المحقق: محمد بن عبده الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م عدد الأجزاء: ١ .

- ٢٠- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ) الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م
- ٢١- مجلة الأزهر، رئيس التحرير: محمد فريد وجدي بك، تحت إدارة ديوان الإدارة للأزهر، والمعاهد الدينية، بالقاهرة، عدد شهر رمضان سنة (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، مجلد ٢٢). مطبعة الأزهر.
- ٢٢- مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، عدد الأجزاء: ٢ .
- ٢٣- الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٤/١٨١. الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت عدد الأجزاء: ٤٥ جزءًا، طبع الوزارة.
- ٢٤- مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: (٢٤ / ٢٧٣). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر عدد الأجزاء: ٣٠ جزءًا
- ٢٥- محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم ، دكتور فريد مصطفى سليمان . الرياض مكتبة الرشيد ، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م - ١٤١٣هـ.
- ٢٦ التعريف بكتاب "معارج التفكير ودقائق التدبر" لـ مجد مكي - دار القلم - دمشق - ط١ - ١٤٢٧هـ.
- ٢٧- نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق، لمحدث العصر أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي.

|    |  |
|----|--|
| ٢  | دِيْبَاغَةُ الْبَحْثِ .....  |
| ٥  | مُلَخَّصُ الْبَحْثِ .....  |
| ٧  | خطة البحث .....  |
| ١٠ | منهجية البحث .....   |
| ١٣ | الفصل الأول توقيف الترتيب المصحفي للآيات والسور .....  |
| ١٣ | المبحث الأول: بيان أن ترتيب الآيات في السور توقيفي .....   |
| ١٣ | المطلب الأول: الأمر الأول: ترتيب الآيات في السور .....   |
| ١٨ | المبحث الثاني: من أوضح الأدلة على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي نزول بعض السور جملة واحدة .....  |
| ١٨ | المطلب الأول: ذكر جملة من السور التي نزلت جملة واحدة .....   |
| ٢٠ | المطلب الثاني: الخلاصة في ذكر السور التي نزلت جملة واحدة .....                                     |
| ٢٠ | المطلب الثاني: وأما الأمر الثاني: فهو ترتيب السور وفق الترتيب المصحفي .....                        |
| ٢١ | المبحث الثالث: مذاهب العلماء وخلافهم في ترتيب السور .....  |
| ٢١ | المطلب الأول: المذهب الأول: أن ترتيب السور أمر توقيفي من اجتهاد الصحابة .....                      |
| ٢٢ | المبحث الرابع: أبرز أقوال العلماء القائلين بأن ترتيب سور القرآن الكريم كان ترتيباً توقيفياً ... .. |
| ٢٢ | المطلب الأول: ذكر جملة من أقوال العلماء المتقدمين .....  |
| ٢٦ | المطلب الثاني: ذكر جملة من أقوال العلماء المعاصرين .....   |
| ٢٧ | المبحث الخامس: أبرز الأدلة التي استدل بها بعض العلماء على توقيف الترتيب المصحفي .....              |
| ٢٧ | المطلب الأول: الدليل الأول: إجماع الصحابة-رضي الله عنهم- على ترتيب السور في المصحف العثماني .....  |
| ٣٠ | المطلب الثاني: الدليل الثاني: تحزيب الصحابة-رضي الله عنهم- للقرآن .....                            |
| ٣٠ | المطلب الثالث: الدليل الثالث: النظم الترتيبي لبعض السور المتشابهة في مفتحتها .....                 |
| ٣٤ | المطلب الرابع: الخلاصة من أقوال وأدلة العلماء القائلين بأن ترتيب السور توقيفي .....                |
| ٣٥ | المبحث السادس: بداية مخالفة ومعارضة الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي وبيان مصدره .....             |
| ٣٥ | المطلب الأول: أول من خالف وعارض الترتيب المصحفي بالترتيب النزولي .....                             |
| ٣٦ | المطلب الثاني: أبرز المستشرقين الداعين لإعادة ترتيب القرآن ترتيباً نزولياً .....                   |

- المطلب الثالث: أبرز من تأثر بالمستشرقين من المعاصرين..... ٣٧
- الفصل الثاني عرض ودراسة ومناقشة التفاسير الثلاثة التي رُئيت على ترتيب النزول ..... ٣٨
- المبحث الأول: عرض ودراسة ومناقشة التفسير الأول "بيان المعاني لـ" عبد القادر ملا حُوَيْش  
" (ت: ١٣٩٨هـ)..... ٣٨
- المطلب الأول: التعريف بتفسير "بيان المعاني" ومؤلفه "ملا حُوَيْش" ..... ٣٨
- المطلب الثاني: الكتب التي اعتمد عليها "حُوَيْش" في تفسيره..... ٣٩
- المطلب الثالث: طريقته في التفسير..... ٤١
- المطلب الرابع: أول دراسة حول هذا التفسير..... ٤١
- المطلب الخامس: دراسة نقدية مختصرة لتفسير "حُوَيْش"..... ٤٢
- المطلب السادس: حصر دوافع إقدام "حُوَيْش" على تغيير الترتيب المصحفي بالنزول ومناقشتها..... ٤٦
- المبحث الثاني: عرض ودراسة ومناقشة التفسير الثاني "التفسير الحديث لـ" محمد عزة دروزة" (ت: ١٤٠٤هـ)..... ٤٨
- المطلب الأول: التعريف بتفسيره..... ٤٨
- المطلب الثاني: حجة "دروزة" في إقدامه على تغيير الترتيب المصحفي بالنزول..... ٤٩
- المطلب الثالث: بيان أهم وأبرز الدوافع التي ساقته "دروزة" لترتيب تفسيره ترتيباً نزولياً..... ٥٢
- المطلب الرابع: مناقشة دوافع "دروزة":..... ٥٣
- المطلب الخامس: طريقة "دروزة" في تفسيره..... ٥٤
- المطلب السادس: تقييم تفسيره..... ٥٧
- المطلب السابع: عقيدة "دروزة" في صفات الرب- جل في علاه..... ٥٨
- المطلب الثامن: أبرز الدراسات حول هذا التفسير..... ٦٠
- المبحث الثالث: عرض ودراسة ومناقشة التفسير الثالث كتاب "معارج التفكير ودقائق التدبر" لـ  
حبنكة الميداني" (١٤٢٥ت: هـ) (.....)..... ٦١
- المطلب الأول: التعريف بالكتاب ومؤلفه وبيان أهم دوافع وبواعث تأليفه..... ٦١
- المطلب الثاني: أضواء جانبية على عقيدة الـ "حبنكة"..... ٦٢
- المطلب الثالث: منهج الـ "حبنكة" في كتابه، ورأيه في ترتيب السور، وما كان لزاماً عليه اتباعه..... ٦٣
- المطلب الرابع: حصر دوافع الـ "حبنكة" في انتهاج هذه الطريقة..... ٦٤
- المطلب الخامس: مناقشة دوافع ومبررات الـ "حبنكة"..... ٦٥
- المطلب السادس: هل تحققت الأهداف التي رامها مُفْتَتِحُو تغيير الترتيب المصحفي بالنزول..... ٦٧
- المطلب السابع: بيان وجوب احترام الترتيب المصحفي وعدم التعرض له، والتصدي لمن تعرض له..... ٦٨

خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة. .... ٧٢

مجموع الفهارس: ..... ٧٤

أ- فهرس المراجع ..... ٧٤

ب - فهرس الموضوعات ..... ٧٧







